أحاديث نبوية لا يسع الداعية إلا أن يتعلمها





أحاديث نبوية لا يسع الداعية إلا أن يتعلمها





الاصدار الأول - الثاني 2021-2024

info@dawahacademy.org







إخلاص النية في العمل

1- (عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلَى مَا هَاجَرَ إلَيْهِ".)[1]

هذا الحديث أصل من أصول الدين، ومن جوامع الكلم التي أوتيها الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك يدخل في كل باب من أبواب الأحكام، ويتضمن فوائد لا حصر لها، منها : 1- أن العمل الخالي عن القصد لغوٌ لا يترتب عليه حكم ولا جزاء إلا ما يُضمن بالإتلاف. 2- اشتراط النية في كل عبادة من صلاة وزكاة وصيام وغير ذلك، ويدخل في هذا نية نوع العبادة وعينها، كصلاة الظهر الحاضرة وصلاة الراتبة لإحدى الصلوات المكتوبة، وصوم القضاء، وكذلك تشترط النية لجميع العقود كالبيع والهبة والعتق ونحوها. 3- أنه لا يفرِّق بين الأعمال المتشابهة في الصورة إلا النية. 4- ابتناء العمل على النية صلاحاً وفساداً، وكذلك الجزاء، ففساد النية يستلزم فساد العمل، كمن عمل لغير الله. وصلاح النية لا يستلزم صلاح العمل لتوقف ذلك على وجود شرط، كموافقة الشرع. 5- أنه لا يحصل للمكلف من عمله إلا ما نوى. 6- وجوب إخلاص العمل لله. 7- تحريم العمل لغير الله.

1 البخاري، حديث: 6689، ومسلم، حديث: 1907.

شرح الحديث

8- مشروعية الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. 9- وجـــــوب الإخلاص في الهجرة وذلك بأن تكون إلى الله ورسوله في حياته ﷺ، وإلى دينه وسنته بعد وفاته ﷺ.

10- أن من أخلص في عمله حصل له مراده حكمـــاً وجـــزاءً، فعملـــه يكـــون صحيحاً، ويترتب عليه الثواب إذا تحققت شروط العمل. 11- أن من عمل للدنيا لا يحصل له إلا ما نوى إذا شاء الله، (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ)[الإسراء:18]. 12- حبوط العمل بعدم الإخلاص لله.

13- أن النية نوعان:

أ- نية العمل نفسه وذلك في قوله :(إنما الأعمال بالنيات).

ب- نيةُ مَنْ لأجله العمل وذلك في قوله :(وإنما لكل امرئ ما نوى)، وهـــــذه هي التي عليها المعول في الإخلاص وضده.

14- تحقير الدنيا وشهواتها لقوله : (فهجرته إلى ما هاجر إليه) حيث أبهم ما يحصل لمن هاجر إلى الدنيا، بخلاف من هاجر إلى الله ورسوله فإنه صرح بما يحصـــل لـــه، وهذا من حسن البيان وبلاغة الكلام.[2]

2 شرح الأربعين النووية للشيخ عبد الرحمن البراك.

2- (عَنْ أُمِّ الْمُـؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْـدِ اللَّهِ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَـالَتْ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ". فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".)[3]

هذا الحديث أصل من أصول الدين، وهو ميزان للاعتقادات والأعمال والأقـــوال الظاهرة والباطنة، وفيه من الفوائد :

1- أن الدين مبناه على الشرع. 2- أن كل ما أُحدث في الدين مما لم يأذن به الله باطل مردود. 3- أن الدين الذي شرعه الله مقبول عنده سبحانه. 4- أن كل مـا وافق شرع الله من العبادات والعقود صحيح، وكل ما خالفه باطـل. 5- عمـوم الحديث يدل على بطلان كل صلاة وكل صيام منهي عنه ، وبطلان كــل عقــد منهي عنه. 6- أن كل البدع الاعتقادية والعملية باطلة، كبدعة التعطيل والإرجاء ونفي القدر والتكفير بالذنوب والعبادات البدعية. 7- بطلان كل شرط وصـلح يحل حراماً أو يحرم حلالاً، كما قالﷺ: (ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مئة شرط). 8- الإشارة إلى وقوع البدع. 9- أن النهي يقتضـي الفساد. 10- أن حكم الحاكم لا يغير ما يدل عليه الشرع في البـاطن. 11- أن من أنواع عقوبات الذنوب حبوط العمل وفوات المقصود. 12- ذم من يحدث في الدين. 13- أن الدين ليس بالرأي والاستحسـان. 14- الإشـارة إلى كمـال الدين.[4]

3 البخاري، حديث: 2697 مسلم، حديث: 1718.

4 شرح الأربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

فضل طلب العلم الشرعي

3- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ".)[5]

فيه حديث أبي هريرة: **(من نفس عن مؤمن كربة ... إلى آخره)** وهو حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، وسبق شرح أفراد فصوله، ومعنى "نفس الكربة": أزالها . وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال، أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين، وقد سبق تفصيله، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي، بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى، إن كان هذا شرطا في كل عبادة، لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسألة به؛ لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس، ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم . قوله ﷺ: **(وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة)** قيل: المراد بالسكينة هنا: الرحمة، وهو الذي اختاره القاضي عياض، وهو ضعيف ؛ لعطف الرحمة عليه، وقيل: الطمأنينة والوقار، وهو أحسن، وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد ، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال مالك: يكره، وتأوله بعض

5 مسلم، حديث: 2699.

أصحابه، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى، ويدل عليه الحديث الذي بعد؛ فإنه مطلق يتناول جميع المواضع، ويكون التقييد في الحديث الأول خرج على الغالب، لا سيما في ذلك الزمان، فلا يكون له مفهوم يعمل به. قوله ﷺ: **(ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)** معناه: من كان عمله ناقصا لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال فينبغي ألا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ، ويقصر في العمل.[6]



6 صحيح مسلم بشرح النووي.

4- (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".)[7]

قوله: (**بلغوا عني ولو آية**)، "ولو آية" أي: واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل؛ ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ. انتهى كلامه.
قوله: (**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**) أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار. وقال مالك: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا. وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب.[8]

7 البخاري، حديث: 3461.

8 فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني بتصرف.

العمل بما يدعو إليه

5- (عَنْ شَقِيقٍ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ قِيلَ لَهُ أَلاَ تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فَقَالَ أَتُرَوْنَ أَنِّي لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلاَ أَقُولُ لأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ".)[9]

قوله : (**أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم**) ، وفي بعض النسخ: "**إلا سمعكم**"، وفي بعضها: "أسمعكم"، وكله بمعنى : أتظنون أني لا أكلمه إلا وأنتم تسمعون. قوله: (**أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من أفتتحه**) يعني: المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه. وفيه الأدب مع الأمراء واللطف بهم، ووعظهم سرا، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم لينكفوا عنه، وهذا كله إذا أمكن ذلك، فإن لم يمكن الوعظ سرا والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق. قوله صلى الله عليه وسلم: (**فتندلق أقتاب بطنه**) هو بالدال المهملة، قال أبو عبيد: الأقتاب: الأمعاء، قال الأصمعي: واحدها : قتبة ، وقال غيره: قتب، وقال ابن عيينة: هي ما استدار في

9 البخاري، حديث: 3267، مسلم، حديث: 2989.



البطن، وهي الحوايا والأمعاء، وهي الأقصاب، واحدها قصب، والاندلاق: خروج الشيء من مكانه.[10]



10 صحيح مسلم بشرح النووي.

6- (عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ".)[11]

(**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ**) كذا للأكثر بكسر الميم، وللكشميهني: "**أمشاط الحديد**" هو جمع مشط بكسر الميم وبضمها، يقال: مشاط وأمشاط كرماح وأرماح، وأنكر ابن دريد الكسر في المفرد، والأشهر في الجمع مشاط ورماح. قوله: "**ما دون لحمه من عظم أو عصب**". قوله: "**يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار**"، قال ابن التين: كان هؤلاء الذين فعل بهم ذلك أنبياء أو أتباعهم. قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر... إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم. قوله: "**وليتمن الله هذا الأمر**" بالنصب، وفي الرواية الماضية: "**والله، ليتمن هذا الأمر**" بالرفع، والمراد بالأمر: الإسلام. والله أعلم.[12]

---

11 البخاري، حديث: 3612.

12 فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني بتصرف.

7- (عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان.)[13] واللفظ لمسلم.

"وقد نبَّه ﷺ على أن أفضلَها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشُّعَب إلا بعد صحته، وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين من إماطة الأذى عن طريقهم، وبقي بين هذين الطرفين أعدادٌ لو تكلف المجتهد تحصيلَها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه".[14]

(وعن ابن سعيد رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((مَن رأى منكم منكرًا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[15]

وقوله: "مَنْ رَأَى" هل المراد من علم وإن لم يرَ بعينه فيشمل من رأى بعينه ومن سمع بأذنه ومن بلغه خبر بيقين وما أشبه ذلك، أو نقول: الرؤيا هنا رؤية العين، أيهما أشمل؟

13 البخاري، حديث: 9، مسلم، حديث: 35.

14 صحيح مسلم بشرح النووي.

15 مسلم، حديث: 49.



الجواب: الأول، فيحمل عليه، وإن كان الظاهر الحديث أنه رؤية العين لكن مادام اللفظ يحتمل معنى أعم فليحمل عليه.

وقوله: "مُنْكَراً" المنكر: هو ما نهى الله عنه ورسوله، لأنه ينكر على فاعله أن يفعله.

" فَلْيُغَيِّرْهُ" أي يغير هذا المنكر بيده.

مثاله: من رأى مع شخص آلة لهو لا يحل استعمالها أبداً فيكسرها.

قوله: "مُنْكَرَاً" لابد أن يكون منكراً واضحاً يتفق عليه الجميع، أي المنكر والمنكر عليه، أو يكون مخالفة المنكر عليه مبينة على قول ضعيف لا وجه له.

أما إذا كان من مسائل الاجتهاد فإنه لا ينكره.

"فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ" أي إن لم يستطع أن ينكره بيده "فَبِلِسَانِهِ" أي فلينكره بلسانه ويكون ذلك: بالتوبيخ، والزجر وما أشبه ذلك، ولكن لابد من استعمال الحكمة، كما سيأتي في الفوائد إن شاء الله، وقوله "بِلِسَانِهِ" هل نقيس الكتابة على القول؟

الجواب: نعم، فيغير المنكر باللسان، ويغير بالكتابة، بأن يكتب في الصحف أو يؤلف كتباً يبين المنكر.

"فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِقَلْبِهِ" أي فلينكر بقلبه، أي يكرهه ويبغضه ويتمنى أن لم يكن.

" وَذَلِكَ" أي الإنكار بالقلب "أَضْعَفُ الإِيْمَانِ" أي أضعف مراتب الإيمان في هذا الباب أي في تغيير المنكر.

الفوائد:

(1) وجوب تغيير المنكر بكل ممكن بيد أو لسان أو بالقلب.

(2) إن من قادر على خصلة من خصال اليمان وفعلها فإنه أفضل ممن تركها عجزا. (3) إن المنكر لا يغير إلا بعد التثبت والتروي واليقين. (4) إن عدم الإنكار

بالقلب يدل على فمعف الإيمان. (5) إن من لم يقم بتغيير المنكر عند تحققه وعدم المانع أنه يأثم حيث إنه لم يزله. (6) إن لتغيير المنكر درجات فلا يغـــيره أحـــد إلا بالذي يستطيع.

الموجز:

يفيدنا هذا الحديث بفائدة عامة نافعة لمن قام بها ضارة لمن لم عمل بها وهي أن كل إنسان إذا علم منكرا فيجب عليه إزالته على حسب استطاعته فإن قوي على أعلى مراتب إزالة المنكر باليد فليفعل سواء حقيقة أو بيد غيره بأمره، ومن عجز عن ذلك فليغيره بلسانه بأن ينهى مرتكبه ويبين له ضرره ويرشده إلى الخير بدل هذا الشـــــر فإن عجز عن هذه المرتبة فليغيره بقلبه بأن يكره هذا المنكر وصاحبه على فعله ولو قدر على إزالته باليد أو باللسان لأزاله والتغيير بالقلب أضعف مـــــراتب الإيمان في تغيير المنكر لأنه لا يتعدى نفعه إلى غير صاحبه فهـــذه المراتب الثلاث لا تســـقط إحداها عن أحد، ولا عذر لمن اعتذر عن أقلها وهو الإنكار بالقلب. ولكن كمـــا قال الشاعر:

بالملح يصلح ما يخشى تغيره ... فكيف بالملح إن حلت به الغير.

8- (عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ . قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ". قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ". قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ "أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ". قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ". قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ".)[16]

شرح موجز

الحديث أصل جامع لأصول الدين الاعتقادية والعملية، وفيه من الفوائد:

1- مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه لتعليمهم وإيناسهم. 2- التعارف بين الصحابة رضي الله عنهم عنهم، لقوله: (ولا يعرفه منا أحد). 3- أن السفر يورث الشَّعَث والغُبْرة.

4- أن من طرق الوحي أن يتمثل الملك بصورة رجل فيكلم النبي صلى الله عليه وسلم.

16 البخاري، من حديث أبي هريرة: 4777، ومسلم، حديث: 9.

5- قدرة الملَك على التمثل بصورة الإنسان كما {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً}[مريم:17] والمراد روح الله الذي هو جبريل، وكذلك كان يتمثل للنبي ﷺ كما في هذا الحديث، ولهذا عُرف هذا الحديث عند أهل العلم بحديث جبريل. 6- مشروعية التعليم بالسؤال والجواب.

7- جواز أن يَسأل الإنسان عمّا يعلم ليستفيد غيرهُ باستخراج ما عند العالم.

8- احتمال العالم جفاء الجاهل، لقوله: (يا محمد) ولمبالغته في الدنو من النبي ﷺ.

9- العناية بمهمات الدين وأصوله. 10- البداءة بالأهم فالمهم في أصول الإيمان والإسلام. 11- الفرق بين الإسلام والإيمان إذا اقترنا في الذكر. 12- أن الإسلام أخص بالأعمال الظاهرة، والإيمان أخص باعتقاد القلب. 13- أن أصول الإسلام القولية والعملية هي المباني الخمسة. 14- أن أصل الدين مطلقاً شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. 15- التلازم بين الشهادتين في الحكم فلا تصح إحداهما دون الأخرى. 16- تفرد الرب بالإلهية وبطلان كل معبود سواه. 17- اعتبار الشهادة –وهي الإقرار- ظاهراً وباطناً بالتوحيد والرسالة لصحة الإسلام.

18- أن الصلوات الخمس أوجب الواجبات على المسلم، وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين. 19- وجوب إقامتها كما أمر الله وبين رسوله ﷺ.

20- أن إيتاء الزكاة أعظم أصول الإسلام بعد الصلاة. 21- الاقتران بين الصلاة والزكاة في نصوص الشرع وهو يدل على عظم شأن الزكاة. 22- أن العبادات منها بدنية كالصلاة والصوم، ومنها مالية كالزكاة. 23- أن صيام رمضان من أصول الإسلام. 24- أن الحج إلى بيت الله الحرام من أصول الإسلام.

25- فضل شهر رمضان. 26- فضل البيت الحرام. 27- أن الحج لا يجب إلا على المستطيع، كما دل على ذلك قوله تعالى {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ

اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}[آل عمران: 97]. 28- أن تصديق السائل للمخبر يشعر بأن لديه علماً سابقاً، لقوله (فعجبنا له يسأله ويصدقه). 29- أن الأصل في السائل عدم العلم، وأن الجهل هو الباعث على السؤال. 30- تنبيه المستمعين بالإشارة إلى مقصود السائل، وهو تعليمهم، وذلك في قوله: "صدقت". 31- أن أصول الإيمان ستة، وهي أصول الاعتقاد. 32- أن الأصل الجامع لهذه الأصول هو الإيمان بالله.

33- إثبات الملائكة وإثبات الكتب والرسل. 34- وجوب الإيمان بالملائكة وأنه من أصول الإيمان. 35- وجوب الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله وأنه من أصول الإيمان. 36- وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أصول الإيمان. 37- وجوب الإيمان باليوم الآخر وأنه من أصول الإيمان. 38- وجوب الإيمان بالقدر وأنه من أصول الإيمان. 39- وجوب الإيمان بهذه الأصول إجمالاً على كل مكلّف. 40- فضل الملائكة والرسل لإضافتهم إلى الله، وهي من إضافة المخلوق إلى خالقه سبحانه إضافة تخصيص وتشريف. 41- فضل كتب الله المنزلة على رسله لأنها كلامه، وكلامه صفته سبحانه. 42- إثبات اليوم الآخر وهو يوم القيامة، ويدخل في الإيمان به الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت.

43- إثبات القدر وأنه شامل لكل ما يكون من خير وشر. 44- ذكر مراتب الدين والترقي في ذكرها من العام إلى الخاص إلى الأخص؛ الإسلام فالإيمان فالإحسان، فكل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم وليس العكس.

45- بيان حقيقة الإحسان في العمل وهي أن تعبد الله كأنك تراه. وهذا مقام المراقبة. 46- أن العبد لا يرى ربه في الدنيا. 47- إثبات الرؤية لله تعالى.

48- أن استحضار اطلاع الله يبعث على المراقبة وإحسان العمل. 49- أن الساعة وهي القيامة لا يعلم موعدها إلا الله تعالى، لا ملك مقرب ولا نبي مرسـل. 50- أن جبريل لا يعلم متى الساعة، ولا الرسول محمد ﷺ.

51- أن للساعة أمارات، أي علامات، وهي أشراطها. 52- ذكر علامتين من علامات قرب الساعة، وهي أن تلد الأمة ربتها، وأن يتطاول البدو في البنيان، وهذا كناية عن تحضرهم وسكناهم القرى والأمصار، وغناهم بعد الفقر. 53- أنه عند كثرة الرقيق قد يملك الولد أمه وهو لا يدري ويكون رباً لها، أي سيداً. 54- التنبيه بالأدنى على الأعلى، حيث ذكر الطبقة الفقيرة من البدو مما يدل على أن الأغنياء منهم أحرى بذلك. 55- أن بسط الدنيا يحمل على التنافس في متاعها.

56- علم النبي ﷺ بأن السائل جبريل عليه السلام، إما من أول مجيئه أو بعد ذلك. 57- إخبار النبي ﷺ لأصحابه بالسائل وبمقصوده. 58- أن من الدين الإيمان بأنه لا يعلم وقت الساعة إلا الله وأن من الدين العلم بأماراتها. 59- تفويض العلم إلى الله ورسوله فيما لا يعلم العبد. 60- سؤال العالم أصحابه عن الأمر ليعلمهم به. 61- فضيلة عمر رضي الله عنه حيث خصه الرسول ﷺ بإخباره عن السائل. 62- إضافة الدين إلى العباد لأنهم المأمورون به والقائمون به، ويضاف إلى الله لأنه الذي شرعه كما قال سبحانه:(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) [آل عمران: 83].[17]

17 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

9- (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)[18]

عَلَى خَمْسٍ أي على خمس دعائم.

شَهَادَة أنْ لا إلَه إلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ (شهادة) يجوز فيها وجهان في الإعراب:

الأول: الضم (شهادةُ) بناء على أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هي شهادة.

والثاني: الكسر (شهادةِ) على أنها بدل من قوله: خمس، وهذا البدل بدل بعض من كل. إن الله عزّ وجل حكيم، حيث بنى الإسلام العظيم على هذه الدعائم الخمس من أجل امتحان العباد.

- الشهادتان: نطق باللسان، واعتقاد بالجنان.

- إقام الصلاة: عمل بدني يشتمل على قول وفعل، وما قد يجب من المال لإكمال الصلاة فإنه لا يعد منها، وإلا فمن المعلوم أنه يجب الوضوء للصلاة، وإذا لم تجد ماءً فاشتر ماءً بثمن ، ومن المعلوم أيضاً أنك ستستر العورة في الصلاة وتشتري السترة بمال لكن هذا خارج عن العبادة، ولذلك نقول:إن الصلاة عبادة بدنية محضة.

- إيتاء الزكاة: عبادة مالية لا بدنية، وكون الغني يجب أن يوصلها للفقير، وربما يمشي وربما يستأجر سيارة، هذا أمر خارج عن العبادة، ولهذا لو كان الفقير عند

18 البخاري، حديث: 8، ومسلم، حديث: 16.

الغني أعطاه الدراهم مباشرة بدون أي عمل، ولا نقول: اذهب أيهـــا التـــاجر إلى أقصى البلد ثم ارجع.

- صوم رمضان: عبادة بدنية لكن من نوع آخر، الصلاة بدنية لكنها فعل، والصيام بدني لكنه كف وترك، لأنه قد يسهل على الإنسان أن يفعل،ويصــعب عليــه أن يكف، وقد يسهل عليه الكف ويصعب عليه الفعل، فنوعت العبادات ليكمل بذلك الامتحان، فسبحان الله العظيم.

- حج البيت: هل يتوقف الحج على بذل المال؟

فيه تفصيل: إذا كان الإنسان يحتاج إلى شد رحل احتاج إلى المال، لكن هذا خارج العبادة، هذا من جنس الوضوء للصلاة.

الحج - عندي- متردد بين أن يكون عبادة مالية، أوعبادة بدنية مالية، وعلى كـــل حال إن كان عبادة مالية بدنية فهو امتحان. فصارت هذه الحكمـــة العظيمـــة في أركان الإسلام أنها:

بذل المحبوب، والكف عن المحبوب، وإجهاد البدن، كل هذا امتحان.

بذل المحبوب: في الزكاة ،لأن المال محبوب إلى الإنسان،كما قال الله عزّ وجـــــل: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) وقال: (وَتُحِبُّونَ الْمَـــالَ حُبَّاً جمّـــاً)، والكـــف عن المحبوب: في الصيام كما جاء في الحديث القدسي: يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِيْ.

فتنوعت هذه الدعائم الخمس على هذه الوجوه تكميلاً للامتحان، لأن بعض الناس يسهل عليه أن يصوم، ولكن لا يسهل عليه أن يبذل قرشاً واحداً، وبعض النـــاس يسهل عليه أن يصلي، ولكن يصعب عليه أن يصوم.[19]

19 شرح الاربعين النووية لابن عثيمين.

10- (عن النبي ﷺ قال: مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به من الهُدَى والعِلْمِ، كمَثَلِ الغيثِ الكثيرِ أصاب أرضًا، فكان منها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأَنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أجاذب، أَمْسَكَتِ الماءَ، فنفع اللهُ بها الناسَ، فشَرِبُوا وسَقَوْا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى، إنما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنبِتُ كَلَأً، فذلك مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللهِ، ونفعه ما بعثني اللهُ به فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ من لم يَرْفَعْ بذلك رأسًا، ولم يَقْبَلْ هُدَي اللهِ الذي أُرْسِلْتُ به.)[20]

قوله ﷺ: **(إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)** أما "الغيث" فهو المطر، وأما" العشب والكلأ والحشيش " فكلها أسماء للنبات، لكن الحشيش مختص باليابس، والعشب والكلأ مقصورا مختصان بالرطب، و" الكلأ " بالهمز يقع على اليابس والرطب، وأما "الأجادب" وهي الأرض التي لا تنبت كلأ. قال الأصمعي: الأجارد من الأرض: ما لا ينبت الكلأ، وأما **(القيعان)** وهو الأرض المستوية، وأما الفقه في اللغة فهو

20 البخاري، حديث: 79، ومسلم، حديث: 2282.



الفهم، وأما الفقه الشرعي، المراد بقوله ﷺ: "فقه في دين الله". وأمـــا قولـــه ﷺ: (**فكـانت منهـا طائفـة طيبـة قبلت الماء**)، قال الخطابي: هو مستنقع الماء في الجبال والصخور، وأما قوله ﷺ: "وسقوا " فقال أهل اللغة: سقى وأسقى بمعنى لغتـــان، وقيل: سقاه: ناوله ليشرب، وأسقاه: جعل له سقيا. وأما قوله ﷺ: (**ورعـوا**) فهو بالراء من الرعي. أما معاني الحديث ومقصوده فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث، ومعناه: أن الأرض ثلاثة أنواع ، وكـــذلك النـــاس ، فـــالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتـــا، وينبت الكلأ، فتنتفـــع بها النـــاس والدواب والزرع وغيرها، وكذا النـــوع الأول من النـــاس، يبلغـــه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه، ويعمل به، ويعلمه غيره فينتفع وينفـــع. والنـــوع الثـــاني من الأرض: ما لا تقبل الانتفاع في نفسها، لكن فيها فائدة، وهي إمساك الماء لغيرها، فينتفع بها الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس، لهم قلوب حافظـــة، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة، ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكـــام ، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتـــاج متعطش لما عندهم من العلم، أهل للنفع والانتفاع، فيأخذه منهم فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم. والنوع الثالث من الأرض: السباخ التي لا تنبت ونحوهـــا، فهي لا تنتفع بالماء، ولا تمسكه لينتفع بها غيرها، وكذا النوع الثالث من الناس؛ ليست لهم قلوب حافظة، ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به، ولا يحفظونه لنفـــع غيرهم ، والله أعلم. وفي هذا الحديث أنواع من العلم منها ضرب الأمثال، ومنهـــا فضل العلم والتعليم، وشدة الحث عليهما، وذم الإعراض عن العلم، والله أعلم.[21]

---

21 صحيح مسلم بشرح النووي، نقل بتصرف.

الصدقة الجارية

11- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: إذا ماتَ الإنسانُ انقَطعَ عنه عملُهُ إلَّا من ثلاثٍ: صَدقةٌ جاريةٌ، وعِلمٌ يُنتَفعُ بِهِ، وولدٌ صالحٌ يدعو لَهُ.)[22]

قوله ﷺ: (**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**) قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له، إلا في هذه الأشياء الثلاثة؛ لكونه كان سببها؛ فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية، وهي الوقف. وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح، وقد سبق بيان اختلاف أحوال الناس فيه، وأوضحنا ذلك في كتاب النكاح. وفيه دليل لصحة أصل الوقف، وعظيم ثوابه، وبيان فضيلة العلم، والحث على الاستكثار منه. والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع. وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت، وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما، وكذلك قضاء الدين كما سبق. وأما الحج فيجزي عن الميت عند الشافعي وموافقيه، وهذا داخل في قضاء الدين إن كان حجا واجبا، وإن كان تطوعا وصى به وهو من باب الوصايا، وأما إذا مات وعليه صيام فالصحيح أن الولي يصوم عنه، وسبقت المسألة في كتاب الصيام.[23]

22 مسلم، حديث: 1631.

23 صحيح مسلم بشرح النووي.

12- (عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: فوالله لأَن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَمِ.)[24]

قوله ﷺ: **(فوالله ، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم)** هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وقد سبق بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها، وأمثالها معها لو تصورت. وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم ، والدعاء إلى الهدى، وسن السنن الحسنة.[25]

فإذا هدى الله بك رجلا واحدا كان ذلك خير لك من حمر النعم ففي هذا حث على العلم وعلى التعليم وعلى الدعوة إلى الله عز وجل لأنه لا يمكن أن يدعو الإنسان إلى الله إلا وهو يعلم فإذا كان يعلم ما يعلم من شريعة الله ودعا إلى ذلك كان هذا دليلا على فضل العلم.[26]

(وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: عُرِضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعهُ الرُّهيطُ، والنبي ومعهُ الرجل والرجلان، والنبي ليس معهُ أحدٌ.)[27]

24 البخاري، جزء من حديث: 2942 ومسلم، جزء من حديث: 2406.

25 صحيح مسلم، بشرح النووي.

26 شرح رياض الصالحين للعثيمين.

27 البخاري، جزء من حديث: 5752، ومسلم، حديث: 220.

قوله ﷺ: (**فرأيت النبي ومعه الرهيط**) هو بضم الراء تصغير الرهط، وهي الجماعة دون العشرة.[28] وفي هذا الحديث فوائد كثيرة، منها: أن النبي ﷺ أخبر عن أحوال الأمم في يوم القيامة وكيف أنها تتفاوت في العدد، وأن بعض الأنبياء يأتي معهم الرهيط، وهو الجماعة القليلة، وأن منهم من يأتي ومعه الرجل والرجلان، ممن أمنوا بهم وصدقوهم، ومنهم من ليس معه أحد. فأخي المسلم هل تعلم كم سيكون معك من المهتدين يوم الدين؟ وكل من يسلم منهم أو يهديه الله على يديك، يكتب لك أجره، ومن لا يؤمن فحسابه على الله، وحسبك من ذلك أنك قد بلغت الرسالة وأبرأت ذمتك أمام الله تعالى بتبليغ رسالته.

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا.)[29]

"من دعا إلى هدى ومن دعا إلى ضلالة هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقا إليه وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك قوله ﷺ (**فعمل بها بعده**) معناه إن سنها سواء كان العمل في حياته أو بعد موته والله اعلم."[30]

---

28 صحيح مسلم بشرح النووي.

29 مسلم، جزء من حديث: 2674.

30 شرح النووي على مسلم.

الدين النصيحة

13- (عن أبي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بنِ أوْسٍ الـدَّاريِّ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قـالَ: الـدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.)[31]

الحديث أصل جامع من أصول الحديث، ومن جوامع الكلم التي أوتيها النبيﷺ:

وفيه من الفوائد:

1- أن الدين كله نصيحة، وأن النصيحة كلها من الـدين. 2- تعلّق النصـيحة بالخمسة المذكورة. 3- حقيقة النصيحة القيام بما أوجب الله وما شرعه الله لما تتعلّق به النصيحة مما ذكر في الحديث:

- فمن النصيحة لله: الإيمان به وتوحيده في ربوبيتـه وإلهيتـه وأسمائه وصـفاته، وإخلاص الدين له.

- ومن النصيحة للقرآن: الإيمان به وتعظيمه والوقوف عند حدوده.

- ومن النصيحة للرسول ﷺ: الإيمان به ومحبته واتباعه ﷺ.

- ومن النصيحة لأئمة المسلمين: السمع والطاعة لهم بالمعروف ومعرفة قدر العلماء والرجوع إليهم في معرفة أمور الدين.

- ومن النصيحة لعموم المسلمين: محبة الخير لهم وتعليم جاهلهم وإرشـاد ضـالهم والإحسان إليهم وكف الأذى عنهم.

4- البداءة بالأهم فالأهم. 5- التفصيل ببيان من له النصيحة لبيان مراتبهم.

31 مسلم، حديث: 55.



6- النص على حق القرآن وحق الرسول ﷺ وحقوق العباد وإن كانت داخلة في حق الله، فإن من النصيحة لله: الإيمان بكتابه ورسوله، وطاعتُه بطاعة رســـوله ﷺ وفي حقوق عباده. 7- أن الدين عبادة ومعاملة. 8- إنزال كلِّ أحـــد من النـــاس منزلته. 9- تأكيد الكلام بالتكرار للاهتمام والإفهام، كما جاء في روايـــة الإمـــام أحمد: (الدين النصيحة) "ثلاثاً".[32]



32 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

البعد عن مواطن الشبهات

14- (عن أبي عبدِ اللهِ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وهِيَ الْقَلْبُ.)[33]

الحديث أصل من أصول الدين في الحلال والحرام، وفيه من الفوائد :

1- تقسيم الأشياء من حيث الحل والحرمة إلى ثلاثة أقسام: حلال بيِّن وحرام بيِّن ومشتبه، وهذا التقسيم شامل للمطاعم والمشارب والملابس والمناكح والعبادات والمعاملات. والحرام منه ما حُرِّم لحق الله كالميتة والدم والخنزير، ومنه ما حُرِّم لحق العبد كالمغصوب والمسروق. والحلال منه ما نص الشرع على حلِّه كبهيمة الأنعام وصيد البحر، ومنه ما سكت عنه الشرع مثل أنواع الطير مما ليس له مخلب. والمشتبه ما تجاذبته الأدلة أو مقتضيات الحلّ والحرمة، فيشكل حكمه على كثير من الناس ويتبين حكمه لأهل العلم، فإما حلال أو حرام فما تبيّن للعالم حلُّه التحق عنده بالحلال البين وما تبين له تحريمه التحق عنده بالحرام البيّن.

33 البخاري، حديث: 52 ومسلم، حديث: 1599.

وعلى هذا فقد يرى العالم حل ما يرى العـــالم الآخـــر تحريمه. ومـــردّ هـــذا إلى اجتهادهما، فمن أصاب منهما فله أجران ومن أخطأ فله أجـــر واحـــد، وخطـــؤه مغفور، وعلى المقلد أن يقتدي بأعلمهما وأوثقهما حسبما ظهر له مع التجرد عن الهوى والتعصب. 2- أن من الحلال ما هو بين تعرفه العامة والخاصة، ومن الحرام ما هو بين تعرفه العامة والخاصة، فمن الأول الأكل والشرب مما يخرج من الأرض، ومن الثاني الزنى وشرب الخمر. 3- فضل العلم الذي به الفرقان بين الحق والباطل والحلال والحرام. 4- الإرشاد إلى اتقاء المشتبهات، وهي ما حصل فيه الـــتردد في حله وحرمته. 5- أن في اجتناب الشبهات احتياطاً للدين والعرض بالســـلامة من الوقوع في الحرام. 6- أن الإقدام على المشتبهات سبب للوقوع في الحرام. 7- أن من طرق البيان ضرب الأمثال وتشبيه المعقول بالمحســـوس. 8- أن المتســـبب في إتلاف مال الغير بماشيته ضامن له. 9- أن الاقتراب من الحمى والمحظور ســـبب للوقوع فيه. 10- أن من عادة الملوك أن يكون لهم حمى يمنعون الناس منه بحق أو بغير حق. 11- أن لملك الملوك سبحانه حمى، وهو ما حرَّم على عباده كالفواحش ما ظهر منها وما بطن. 12- وجوب اجتناب محارم الله. 13- وجوب اجتنـــاب الأسباب المفضية إلى المحرمات. 14- أن مدار الصلاح والفساد في الإنســـان على القلب، وسائر الجوارح تابعة له صلاحاً أو فساداً. 15- أن صلاح الباطن يستلزم صلاح الظاهر، وفساد الظاهر يستلزم فساد الباطن. وقد يصلح الظاهر مع فســـاد الباطن كحال المنافق والمرائي.[34]

---

34 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

15- (عن عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله.)[35]

الحديث أصل في جهاد الكفار ليدخلوا في الإسلام وفيه من الفوائد:

1- أن محمداً ﷺ عبد لله ورسول. 2- أن الرسول ﷺ مبلغ عن الله أمره ونهيه وشرعه. 3- جواز إبهام الآمر للعلم به اختصاراً، إذ لم يقل ﷺ: أمرني الله أو ربي. 4- أن الله أمره بقتال الكفار، فقوله: (**أُمرت**) أي: أمرني ربي. 5- وجوب الجهاد. 6- أن قتال الكفار لا يقتصر على الدفاع بل يقاتلون ابتداءً فيكون قتالهم على وجهين دفاعاً وهجوماً. 7- أن الغاية الأولى من قتال الكفار الدخول في الإسلام والثانية الخضوع لدولة الإسلام ببذل الجزية. وأخذ الجزية قيل: من جميع الكفار، وقيل من المجوس ومن أهل الكتاب، والراجح – والله أعلم- القول الأول لحديث بريدة ﵁ عن مسلم- وفيه: (**فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى الإسلام، فإن أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم**).

8- أنه لا يُكف عن قتال الكفار مطلقاً حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويلتزموا إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، لكن من أظهر الإسلام بأي شيء يدل عليه وجب الكف عنه ثم ينظر في حاله بعد ذلك، لقوله ﷺ (**أمرت أن أقاتل**

35 البخاري، حديث: 25 ومسلم، حديث: 22.

الناس حتى يقولوا "لا إله إلا الله" وقوله لأسامة ﵁: "أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله).

9- أن أعظم مباني الإسلام: الشهادتان، وبعدهما الصلاة والزكاة. 10- اقتران هذه الأصول الثلاثة الشهادتان والصلاة والزكاة. 11- أعظم فرائض الدين – بعد الشهادتين – الصلوات الخمس والزكاة. 12- عظم شأن الزكاة في الإسلام حيث قرنت بالصلاة في نصوص الكتاب والسنة. 13- أن عصمة دم الكافر وماله إنما تتحقق بهذه الثلاثة. 14- حل الغنائم للنبي ﷺ وأمته. 15- أن المسلم معصوم الدم والمال، فدمه وماله حرام إلا أن يأتي في الإسلام بما يبيح دمه أو ماله، وهو حق الإسلام المذكور في الحديث. 16- أن أحكام الدنيا تجري على الظاهر، وتفوض السرائر إلى الله. 17- أن الله يعلم سرائر العباد. 18- أن الله هو الذي يحاسب العباد ويجازيهم على أعمالهم. 19- أن الله أوجب على نفسه أن يبعث العباد ويحاسبهم ويجزيهم، يشير إلى ذلك قوله: (وحسابهم على الله). 20- اقتران هذه الأصول الثلاثة: الشهادتان والصلاة والزكاة.[36]

36 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

مراحل الخلق وإثبات القدر

16- (عنْ أبي عبدِ الرَّحمنِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: حدَّثنا رسولُ اللهِ ﷺ، وهو الصَّادِقُ المصْدُوقُ: إنَّ أَحدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثمَّ يُرْسَلُ إلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ، وَيُؤمَرُ بأرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ. فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، إنَّ أَحدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا.)[37]

الحديث أصل في إثبات القدر، وفيه من الفوائد:

1- تأكيد الرواية بالتصديق بالتحديث (**حدثنا**)، وأصرح منها التصريح بالسماع.

2- تأكيد الرواية بذكر صدق المُخبِر وصدق من أخبره، وهو الصادق المصدوق.

3- أن خلق الإنسان أطوار. 4- أن أطوار الجنين – قبل نفخ الروح - ثلاثة: نطفة فعلقة فمضغة، وقد ذكر الله هذه الأطوار مجتمعة في آيتين في سورة الحج والمؤمنون، وذَكرها متفرقة في مواضع. 5- أن مدة كل طور أربعون يوماً.

37 البخاري، حديث: 6594 ومسلم، حديث: 2643.

6- علم من أعلام نبوة محمد ﷺ، لأن هذه الأطوار وهـــذه المقـــادير لم يكن في العادة الاطلاع عليها. 7- أن للأرحام ملَكاً معيناً أو جنساً يتولى تصـــويرَ الجنين ونفخَ الروح فيه وكتابةَ قدره.8- أن خلق جسد الإنسان قبل خلق روحه.

9- أن نفخ الروح فيه يكون بعد مئة وعشرين يوماً من ابتداء الحمل. 10- تقدير أمر الإنسان رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد وهو في بطن أمه، وهـــذا تقـــدير خاص لا ينافي القدر العام الأول في اللوح المحفوظ، ولا ينافي وقوع هذه الأمـــور بأسباب. 11- أن الملَك لا يعلم ذلك ولا يكتبه إلا بأمر الله وإعلامه ذلك وهـــذا التقدير. 12- أن خلق الإنسان يكون بأسباب ظاهرة وأسباب خفية، والله تعـــالى هو خالق الأسباب والمسبَّبات فهو الخالق حقيقة. 13- وجوب الإيمان بالقـــدر.

14- الحلف على الفتيا. 15- تأكيد اليمين بذكر صفة الوحدانية في الإلهية.

16- أن الأعمال بالخواتيم. 17- أن من كُتب شقياً لابد أن يُختم لـــه بســـبب ذلك وإن كان يعمل بطاعة الله قبل ذلك. 18- أن من كُتب سعيداً لابد أن يختم له بسبب ذلك وإن عمل بمعصية الله قبل ذلك. 19- وجـــوب الخوف من ســـوء الخاتمة، والحذر من أسبابها. 20- وجوب الأخذ بأســـباب حســـن الخاتمة. 21- استعمال المجاز في الكلام، وذلك في التعبير عن الزمن اليسير بمقياس المساحة وهـــو الذراع. 22- ترتيب الجزاء على العمل. 23- أن للسعادة أســـباباً، وهي الإيمان والتقوى، وللشقاوة أسباباً، وهي الكفر واتباع الهوى. 24- أن كلًّا ميسر لما جرى به القدر. 25- الرد على القدرية من قوله ﷺ:(**أمـر بكتب أربـع كلمـات**) والرد على الجبرية من قوله (**فيعمل بعمل أهل الجنة ويعمل بعمل أهل النار**).

26- إثبات الملائكة وأن منهم الموكلين ببني آدم. 27- أن الملائكة عباد يؤمرون ويُنهون. 28- أنهم يكتبون كتابةً الله أعلم بكيفيتها. 29- أن الروح شيء قـــائم

بنفسه لا عَرَضٌ، وهو ما يقوم بغيره خلافاً لبعض المتكلمين. 30- أن الملك ينفخ ولا نعلم كيفية النفخ، وشاهده من القرآن{فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا}[الأنبياء:91] والمراد نفخ الملك في فرجها.[38]

38 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

النهي عن كثرة السؤال والتشدد

17- (عَن أبي هُريرةَ عَبدِ الرَّحمنِ بن صَخْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ واخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)[39]

الحديث من الأصول الحديثية وجوامع الكلم.

وفيه من الفوائد :

1- وجوب طاعة الرسول ﷺ في أمره ونهيه. 2- وجوب اجتناب المنهي المحرَّم كلِّه، وأنه لا يُعلَّق ذلك على الاستطاعة، ويُستثنى من هذا ما أبيح للضرورة أو للإكراه لأن مناط التكليف الاستطاعة، والاستطاعة شرط في جميع الواجبات.

3- وجوب فعل المأمور وتعليق ذلك على الاستطاعة. 4- أن العبد إذا عجز عن كل المأمور أتى منه بما يستطيع. 5- أن للعبد استطاعة وقدرة على الفعل والترك، خلافاً للجبرية. 6- ترك الأسباب المفضية إلى المحرم، لأن ذلك من معنى الاجتناب. 7- تحريم كثرة السؤال، لأنه يتضمن التعنت والتكلف وعدم الانقياد للأمر. 8- تحريم الاختلاف على النبي ﷺ بالتنازع في أمره أو معصيته. 9- ذم الأمم الماضية بكثرة السؤال والاختلاف على الأنبياء. 10- أن ذلك سبب هلاكهم المعنوي فإن الكفر والمعاصي هلكة، أو الحسي وذلك بالعقوبات المدمرة. 11- أن كثرة السؤال والاختلاف يقع في هذه الأمة، لقوله ﷺ: **(لتتبعن سنن من كان**

39 البخاري، 7288، مسلم، حديث: 1337.



قبلكم). ومما يتعلق بسبب الحديث وأصله: 12- أن الحج فرض، وذلك معلوم من الكتاب والسنة والإجماع. 13- أن الأمر المطلق لا يقتضي التكرار. 14- أن الرسول ﷺ لو أمر بالحج كل عام لوجب. 15- أن الحج كل عام غير مستطاع لأكثر الناس. 16- أن السؤال عن وجوبٍ أو تحريمٍ وقتَ نزول القرآن قد يكون سبباً للوجوب أو التحريم كما جاء في الحديث: (**إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته**). 17- أن الأصل براءة ذمة المكلف حتى يرد الأمر أو النهي.[40]



40 شرح الأربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.



من أسباب إجابة الدعاء

18- (عن أبي هريرة ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ اللهَ تَعالَى طَيّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا، وإنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعالَى: {يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا}، وَقَالَ تَعَالَى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّماءِ يا رَبِّ.. يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلكُ؟)[41]

هذا الحديث أصل فيما يُقبل ويرد من الأعمال، وفي إيثار الحلال على الحرام. وفيه من الفوائد المستنبطة من الحديث والآيتين:

1- أن من أسماء الله الطيِّب. 2- كمال الرب سبحانه في أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، كما يدل عليه قوله : (**إن الله طيب..**). 3- أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من الأعمال والأقوال إلا طيبها، وهو ما كان خالصاً لوجهه وموافقاً لأمره وسنة نبيه ﷺ.

4- أن الإنفاق من الحرام لا يقبله الله لأنه خبيث. 5- أن الحلال من المكاسب والأعيان طيب فالصدقة منه مقبولة. 6- وجوب الأكل من الحلال واجتناب الحرام. 7- أمر الرسل والمؤمنين بذلك. 8- إباحة الأكل من الجيد من المطاعم والمشارب. 9- ذم الذين يمتنعون من أكل الطيب الحلال. 10- أن الرسل عباد الله

41 مسلم، حديث: 1015.

يأمرهم وينهاهم. 11- أن للمؤمن في الرسل أسوة. 12- أن المؤمنين لا يعبـــدون إلا الله. 13- تكريم المؤمنين بخطابهم بوصف الإيمان. 14- أن الإيمان يقتضي فعل المأمورات وترك المنهيات. 15- أن التوحيد يقتضي شكر الله على نعمه وقبـــــول رزقه. 16- أن الشكر إنما يكون بالعمل الصالح لقوله تعالى للمؤمنين{وَاشْكُرُواْ لِلّهِ }في مقابل قوله للرسل:{وَاعْمَلُوا صَالِحًا}. 17- إثبات علمه تعـــالى بأعمـــال العباد، وفي ذكر العلم بعد الأمر وعد ووعيد، لقوله: (يَا أَيُّهَا الرُّسُـــلُ كُلُـــوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ). 18- استشهاد النبي ﷺ بالقرآن. 19- الاستعانة بأكل الحلال على العمل الصالح. 20- أن أكل الحرام أو الإنفاق منه قد يبطل العمل أو ينقص الثواب. 21- أن من موانع إجابة الدعاء أكل الحرام. 22- أن من أسباب إجابة الدعاء طول السفر والشَّعَث ورثاثة الهيئة، لأن ذلـــك يوجب انكسار القلب. 23- أن من أسباب الإجابة رفع اليدين والإلحاح. 24- أن من غلب عليه الحرام في طعامه وشرابه ولباسه يبعد أن يُستجاب له، ولـــو أتى بأسباب الإجابة. 25- أن الأكل – وفي معناه الشرب- أهم وجوه الانتفاع وبعده اللباس وبعده المركب والمسكن، فالأكل والشرب أولاها بالحلال، ثم ما بعده، وما كان من المكاسب مشتبهاً فينفق في المركب والمسكن.

26- سوء أثر تغذية الصبي بالحرام وإن لم يكن عليه إثم بذلك. 27- وصـــف الله بالربوبية. 28- التوسل إلى الله –في الدعاء- بربوبيته. 29- استبعاد الإجابـــة عن جنس من قام به المانع، فلا يجزم بذلك في حق المعيَّن.[42]

42 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

حب لأخيك ما تحب لنفسك

19- (عن أبي حمزةَ أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ خادمِ رسولِ اللهِ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.)[43]

الحديث أصل في النصح لكل مسلم، وفيه من الفوائد:

1- وجوب النصيحة لكل مسلم. 2- أن من النصيحة محبة الخير للمسلم، وكراهة الشر له، كما يحب المرء لنفسه ويكره لنفسه. 3- أن النصيحة من الإيمان. 4- أن الإيمان يتفاضل، فإن النفي في الحديث نفي لكمال الإيمان الواجب، فإن الإيمان لا يُنفى إلا لترك واجب، ولا يُنفى لترك مستحب، وإلا للزم جواز نفي الإيمان عن أكثر المؤمنين. كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. 5- أن النصيحة موجَب الأخوة الإيمانية، فذكر الأخوة من بواعث القيام بحقوقها، فهي علة الحكم وموجِبُه.

6- أن الأخوة في الله، فوق أخوة النسب فحقّها أوجب. 7- أن حق الأخوة الإيمانية عام للمؤمنين والمؤمنات كما قال تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ }. وقال سبحانه {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }. فلا مفهوم لوصف الذكورية في الحديث. 8- تحريم كل ما ينافي هذه المحبة من الأقوال والأفعال كالغش والغيبة والحسد والعدوان على نفس المسلم أو ماله أو عرضه، ولا يحرم الربح على المسلم في البيع بلا غبن ولا تدليس ولا كذب.[44]

---

43 البخاري، حديث: 13 ومسلم، حديث: 45.

44 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

متى يهدر دم المسلم

20- (عنْ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَن لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وأَنِّي رسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ.)[45]

الحديث أصل في حرمة دم المسلم، وفيه من الفوائد:

1- عصمة دم المسلم. 2- أن الإسلام أعظم ما يُعصم به الدم. 3- فضل المسلم على الكافر. 4- تحريم قتل المسلم وقتاله إلا بما يوجبه شرعاً. 5- تحريم التسبب في قتله أو قتاله. 6- تحريم الإشارة إلى المسلم بالسلاح ونحوه. 7- تحريم العدوان على بدن المسلم بجرح أو ضرب بغير حق. 8- أن حد الزاني الثيب القتل، برجمه بالحجارة بشروطه كما دلت السنة المتواترة عليه. 9- ثبوت القصاص على من قتل معصوماً عمداً عدواناً في الجملة بشروطه. 10- وجوب قتل المرتد عن دين الإسلام. 11- أن الإسلام يثبت حكمه بالشهادتين لقوله -كما في أصل الحديث-: (مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله). 12- أن أصول ما يحل به دم المسلم الخصال الثلاث.[46]

شرح الحديث

45 البخاري، حديث: 6878، مسلم، حديث: 1676 .

46 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

النهي عن الغضب

21- (عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ رَجُلاً قالَ للنَّبيِّ ﷺ: أَوْصِني. قالَ: (لاَ تَغْضَبْ) فَرَدَّدَ مِرارًا، قالَ: (لاَ تَغْضَبْ).)[47]

الحديث أصل في مقاومة الغضب وتجنب أسبابه، وفيه من الفوائد:

1- جواز طلب الوصية من العالم. 2- جواز الاستزادة من الوصية. 3- حرص الصحابة على الخير. 4- مراعاة الموصي حال الموصَى في وصيته. 5- أن الغضب مفتاح لكثير من الشرور القولية والفعلية، وأعلاها الكفر والقتل. 6- تأكيد النهي عن الغضب ولا يدخل في ذلك الغضب لله إذا انتهكت حرماته. فالغضب مراتب فأفضله الغضب لله وأسوأه السخط على قضاء الله، فالأول من كمال الإيمان والثاني من الجهل بالله وسوء الظن به.

7- النهي عن أسباب الغضب، كالمراء والسباب والمنازعات وصحبة السفهاء. 8- الأمر بأسباب إطفاء الغضب كالتعوذ بالله من الشيطان والوضوء والجلوس. 9- الإرشاد إلى كظم الغيظ وضبط النفس عند حصول الغضب كما في الحديث (**ليس الشديد بالصُّرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**). 10- حسن خلقه ﷺ. و11- حسن تعليمه ﷺ.

12- فيه شاهد لقاعدة سد الذرائع. 13- أن أفضل الناس في الغضب والرضا من يكون بطيء الغضب سريع الرضا. 14- فيه شاهد لما خُص به النبي ﷺ من جوامع الكلم.

15- أن النهي عن الشيء نهي عن أسبابه، وأمر بما يعين على تركه.

16- أن من محاسن الإسلام النهي عن مساوئ الأخلاق.[48]

47 البخاري، حديث: 6116.

48 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

الأمر بالإحسان

22- (عن أبي يَعْلَى شَـدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رسـولِ اللهِ ﷺ قـالَ: إنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَـانَ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ، فَـإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَـةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِـنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ.)[49]

هذا الحديث أصل في الندب إلى الإحسان إلى كل شيء، وفيه من الفوائـــد:

1- إضافة الكتابة إلى الله، وهي نوعان:

أ- كتابة نوعية ب- كتابية دينية:

فمن الأول قوله تعالى:(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) [الأنبيـــاء : 105]
ومن الثاني قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ }ومنه ما في هـــذا الحديث.

2- الحث على الإحسان إلى الخلق بكتابته على كل شـــيء، و(على) في الحديث بمعنى (في)، وهذا أقرب الوجوه، والإحسان يكون بالقول والفعل والترك والإحسان إلى أصناف الناس كما في قوله تعالى: (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين**) ويدخل فيه الإحسان إلى الحيوان كما في حديث البغي التي سقت كلباً فغفر الله لها، وكما في هذا الحديث، وجماع القول في معنى الإحسان أنه إيصال النفع ودفع الضرر وكف الأذى.

49 مسلم، حديث: 1955.

3- من الإحسان: الإحسانُ في صفة قتل من أبيح قتله، وذلك بفعل ما يقتضيه الشرع من صعوبة وسهولة فيدخل في ذلك رجم الزاني والقتل قصاصاً، فإنه يتبع فيه فعل الجاني.

4- الإحسان في صفة ذبح الحيوان، ومن ذلك فعل الأسباب التي تكون أسرع في إزهاق الروح، كشحذ الشفرة وهي السكين. 5- تحريم تعذيب الحيوان كاتخاذه غرضاً وتجويعه وحبسه بلا طعام ولا شراب. 6- رحمة الله بخلقه. 7- كمال هذه الشريعة واشتمالها على كل خير، ومن ذلك رحمة الحيوان والرفق بالحيوان.

8- أن الله له الأمر والحكم. 9- حسن تعليم النبي ﷺ لتوضيحه القاعدة الكلية بذكر بعض أفرادها.[50]

50 شرح الأربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

إِذا لَم تَستَحْيِ فاصْنَعْ مَا شِئتَ

23- (عَنْ أَبِيْ مَسْعُوْدٍ عُقبَة بنِ عَمْرٍو الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَاسُ مِن كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى إِذا لَم تَستَحْيِ فاصْنَعْ مَا شِئتَ.)[51]

من فوائد هذا الحديث :

1- أن الآثار عن الأمم السابقة قد تبقى إلى هذه الأمة، لقوله: إِنَّ مِمَا أَدرَكَ الناسُ مِن كَلاَمِ النُّبوَةِ الأُولَى وهذا هو الواقع. 2- أن هذه الجملة: إِذا لَم تَستَحْيِ فاصنَع مَا شِئت مأثورة عمن سبق من الأمم، لأنها كلمة توجه إلى كل خلق جميل.

3- الثناء على الحياء، سواء على الوجه الأول أو الثاني، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: الحَيَاءُ شُعبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

والحياء نوعان:

الأول:فيما يتعلق بحق الله عزّ وجل.

الثاني:فيما يتعلق بحق المخلوق.

أما الحياء فيما يتعلق بحق الله عزّ وجل فيجب أن تستحي من الله عزّ وجل أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك.

وأما الحياء من المخلوق فأن تكفَّ عن كل ما يخالف المروءة والأخلاق.

51 البخاري، حديث: 3483.

4- أن من خلق الإنسان الذي لا يستحيي أن يفعل ما شاء ولا يبالي، ولذلك تجد الناس إذا فعل هذا الرجل ما يستحيى منه يتحدثون فيه ويقولون: فلان لا يستحيي فعل كذا وفعل كذا. 5- ومن فوائد الحديث على المعنى الثاني: أن ما لا يستحيى منه فالإنسان حل في فعله لقوله: إِذَا لَم تَستَحْيِ فَاصنَع مَا شِئت.

6- فيه الرد على الجبرية، لإثبات المشيئة للعبد. والله الموفق..[52]



52 شرح الأربعين للعثيمين بتصرف.



24- (عن أبي عبدِ اللهِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إذا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوباتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قال: (نَعَمْ)،قَالَ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا.)[53]

الحديث أصل في حصول النجاة والفوز بالجنة لمن اقتصر على أداء الفرائض واجتناب المحارم، وهو المقتصد، وفيه من الفوائد:

1- أن أعظم الواجبات على المسلم الصلوات الخمس. 2- أنها أعظم أسباب دخول الجنة بعد الشهادتين. 3- أن صيام شهر رمضان من أعظم فروض الإسلام. 4- أن من أسباب دخول الجنة الإيمان بالحلال والحرام باعتقاد حل الحلال وتحريم الحرام. 5- وجوب اجتناب الحرام، وأن اجتنابه من أسباب النجاة. 6- أن إحلال الحلال يقتضي استباحة المباح وفعل الواجب والمستحب. 7- إثبات الجزاء وترتبه على الأعمال. 8- أن طلب الجنة بالأعمال الصالحة مطلوب شرعاً ومحمود، ففيه الرد على الصوفية الذين يرون أن طلب الثواب والخوف من العقاب نقص.

9- أن الاقتصار على فعل الواجبات وترك المحرمات يكفي لدخول الجنة، كما جاء في حديث الذي سأل عن الصلاة والزكاة والصيام فأجابه النبي ﷺ فقال الرجل: هل علي غيرها؟

53 مسلم، حديث:15.



- قال له النبي ﷺ: (**لا، إلا أن تطّوع**)

- فولَّى وهو يقول: (**والله لا أزيد على هذا ولا أنقص**)

- فقال ﷺ: (**أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق**).

10- حرص الصحابة على أسباب النجاة وعلو هممهم كما قال معاذ رضي الله عنه:

(**أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار**)، فقال ﷺ: (**لقد سألت عن عظيم**).

11- أن الجواب بنعم، يتضمن الإقرار والتصديق، فيؤخذ المجيب بإقراره، ويُعلم تصديقه للخبر.[54]



54 شرح الاربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

مقتضى الإيمان باليوم الآخر

25- (عن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ.)[55]

الحديث أصل في حفظ اللسان وبذل الإحسان، وفيه من الفوائد:

1- أن الإيمان بالله واليوم الآخر أصل لكل خير. 2- أن الإيمان بالله واليوم الآخر يبعث على المراقبة والخوف والرجاء. 3- أن الإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن المبدأ والمعاد. 4- أن الإيمان بالله واليوم الآخر أقوى البواعث على الامتثال.

5- التحريض على امتثال الأوامر بذكر موجِبه، وما يهيّج على الطاعة.

6- أن الكلام فيه خير وشر وما ليس بخير. 7- الحث على التكلم بالخير، وهو الكلم الطيب وهو كل ما أمر الله به ورسوله ﷺ من الكلام وجوباً أو استحباباً، كأنواع الذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم، والإصلاح بين الناس. 8- أن الصمت عمّا ليس بخير من الكلام مما يقتضيه الإيمان بالله وباليوم الآخر. 9- أن التكلم بالخير خير من الصمت عما لا خير فيه، وأن الصمت عمّا لا خير فيه خير من التكلم به، ففيه دليل على أن فعل الطاعة أفضل من ترك المعصية في الجملة. 10- أنه يجوز التخيير بين خيرين، أحدهما أفضل من الآخر، كما تقول: صلِّ ركعتين أو أربعاً. 11- أن هذه الخصال الثلاث من الإيمان.

---

55 البخاري، حديث: 6475 ومسلم، حديث: 47.



12- عظم حق الجار. 13- أن حق الجار الإكرام، وهو يتضمن الإحسان وكف الأذى، وفي رواية "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره" وفي أخرى " فلا يؤذ جاره". 14- أن حق الجوار لكل جار، مسلماً كان أم كافراً، لإطلاق الحديث، وقد قال تعالى في آية الحقوق العشرة:{وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ } فالجيران ثلاثة: الجار المسلم الذي له قرابة له ثلاثة حقوق، والجار المسلم غير القريب له حقان، والجار الكافر له حق الجوار. ويتفاوت حق الجوار بحسب قرب الجار وبعده، ويدل على عظم حق الجار قول النبي ﷺ (**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**).

15- أن إكرام الضيف من صفات المؤمنين. 16- الأمر بإكرام الضيف، وهو من يترل بالإنسان يريد المأوى والطعام، وإكرامه بحسب مترلة الضيف وحال المضيف ويُرجع فيه إلى العرف، والواجب للضيف إضافته يوماً وليلة، وما زاد فهو سنة إلى ثلاثة أيام ويتأكد حق الضيف على النازلين في طرق المسافرين وفي القرى التي لا تتوفر فيها حاجة المسافر من مطعم ومسكن بخلاف المدن التي يُهيأ فيها للمسافرين المسكن والمطعم بالثمن، وهذا التفصيل إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، والرواية الأخرى تجب الضيافة مطلقاً على أهل المدن والقرى. 17- أن من محاسن الإسلام رعاية الحقوق التي بين الناس والحث على حفظ اللسان بكفه عمّا لا خير فيه والترغيب في الكلام الطيب.[56]

56 شرح الأربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك

26- (عن أبي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عليّ بنِ أبي طالِبٍ، سِبْطِ رسولِ اللهِ ﷺ ورَيْحانَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: حَفِظْتُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ: (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ).)[57]

هذا الحديث أصل في ترك جميع المشتبهات والمشكلات من الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب وغير ذلك. وفيه من الفوائد:

1- تربية الصغار على الآداب الشرعية لينشؤوا على الأخلاق الكريمة.

2- الأمر بترك المشتبهات، كحديث (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه). 3- أن المشتبهات تورث قلقاً في النفس. 4- الإرشاد إلى الاحتياط في الدين، وذلك بالعدول إلى ما يطمئن إليه القلب وتطمئن إليه النفس، كما جاء في الحديث. 5- الترغيب في الصدق والتحذير من الكذب. 6- أن الصدق سبب الطمأنينة في النفس، والكذب سبب الريب والقلق. 7- رحمة الله بعباده إذ أمرهم بما فيه راحة النفس. والبال ونهاهم عمّا فيه قلق وحيرة. 8- نصح الرسول ﷺ وحسن تعليمه. 9- أن هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ وعَدَّها من خصائصه. 10- اطِّراح الشك والبناءُ على اليقين في الأحكام.[58]

57 الترمذي، حديث: 2518 (حديث صحيح)، النسائي، حديث: 5711، الدارمي، حديث: 2574.

58 شرح الأربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

الأمر بالتقوى وحسن الخلق

27- (عن أبي ذرٍّ جُندُبِ بنِ جُنَادَةَ وأبي عبدِ الرَّحمنِ مُعاذِ بنِ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ.)[59]

هذا الحديث أصل في رعاية حقوق الله وحقوق عباده، وفيه من الفوائد:

1- الوصية من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الوصايا الثلاث الجوامع. 2- وجوب تقوى الله في كل مكان وزمان وفي كل حال، وتقوى الله خوفه ومراقبته وطاعته بامتثال الأوامر والنواهي. والوصية بتقوى الله هي وصية الله للأولين والآخرين والنبيين والمؤمنين والناس أجمعين، وهي تتضمن الوصية بفعل كل طاعة وترك كل معصية.

3- الوصية بإتباع الحسنة للسيئة، والحسنة هي الطاعة، والسيئة هي المعصية.

4- أن الحسنات تمحو السيئات، كما**{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}**[هود: 114] وأعظم الحسنات محواً وإذهاباً للسيئات التوبة النصوح، ثم الاستغفار ثم الأعمال الصالحة، كما في الحديث (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر). 5- رأفة الله ورحمته بعباده إذ شرع لهم ما يكفر السيئات، فضلاً من الله ونعمة. 6- الوصية بحسن الخلق مع الناس، وجماع ذلك الإحسان إليهم وترك العدوان عليهم، والصبر على أذاهم.

59 التِّرمذيّ، حديث: 1987 وقالَ: (حديثٌ حَسَنٌ). وفي بعضِ النُّسَخِ: (حسنٌ صحيحٌ).



7- ومن شواهد ما جاء في هذا الحديث قوله تعالى **{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** [آل عمران 133-135]

فاشتملت هذه الآيات على ما اشتمل عليه الحديث من الوصايا الثلاث فتطابقت على ذلك دلالة الكتاب والسنة وكلاهما مترل من الله. قال تعالى: **{وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}** [النساء113].[60]



60 شرح الأربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

28- (عَنِ سُفْيَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَارَسُوْلَ اللهِ قُلْ لِيْ فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدَاً غَيْرَكَ؟ قَالَ ﷺ: "قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثُمَّ استَقِمْ".)[61]

من فوائد هذا الحديث:

1- حرص الصحابة رضي الله عنهم على العلم، وذلك لما يرد على النبي ﷺ منهم من الأسئلة. 2- عقل أبي عمرو أو أبي عمرة رضي الله عنه حيث سأل هذا السؤال العظيم الذي فيه النهاية، ويستغني عن سؤال أي أحد. 3- أن الإنسان ينبغي له أن يسأل عن العلم السؤال الجامع المانع حتى لا تشتبه عليه العلوم وتختلط، لقوله: "قَولاً لا أَسأَلُ عَنهُ أَحَدَاً غَيْرَك"،وفي هذا إشكال وهو قوله: "لا أَسأَلُ عَنهُ أَحَدَاً غَيْرَك" فهل يمكن أن يسأل الصحابة رضي الله عنهم أحداً غير رسول الله ﷺ في أمور الدين؟

فالجواب: نعم ، يمكن أن يسأل أحدهم مَنْ يفوقه في العلم، وهذا وارد، ثم هذه الكلمة تقال حتى وإن لم يكن يسأل ، لكن تقال من أجل أن يهتم المسؤول بالجواب.

4- أن النبي ﷺ أعطي جوامع الكلم حيث جمع كل الدين في كلمتين:"آمنتُ بالله، ثُمَّ استَقِم" وهذا يشهد له قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الاحقاف:13) وقوله تبارك وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا

61 مسلم، حديث: 38.

بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت:30) وقوله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِـــرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا)[هود:112] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

5- التعبير بكلمة الاستقامة دون التعبير المشهور عند الناس الآن بكلمة الالــــتزام، فإن الناس اليوم إذا أرادوا أن يثنوا على شخص بالتمسك بالدين قالوا: فلان ملتزم، والصواب أن يقال: فلان مستقيم كما جاء في القرآن والسنة .

6- أن من قصر في الواجبات فما استقام، بل حصـــل عنـــده انحراف، والانحراف تكون شدته بقدر ما ترك من الواجبات أو فعل من المحرمات.

7- أنه ينبغي للإنسان أن يتفقد نفسه دائماً: هل هو مستقيم أو غير مستقيم؟ فإن كان مستقيماً حمد الله وأثنى عليه وسأل الله الثبات، وإن كان غير مســـتقيم وجب عليه الاستقامة وأن يعدل سيره إلى الله عزّ وجل. فمن أخر الصلاة عن وقتها فهـــو غير مستقيم ، لأنه أضاع الصلاة. ومن منع الزكاة فهو غير مستقيم لأنـــه أضـــاع الزكاة. ورجل يعتدي على الناس في أعراضهم فغير مستقيم، لفعل المحرم.

ورجل يغش الناس ويخادعهم في البيع والشراء والإجارة والتأجير وغير ذلك فهـــذا غير مستقيم. فالاستقامة وصف عام شامل لجميع الأعمال، والله الموفق.[62]

62 شرح الأربعين النووية، للعثيمين.

29- (عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الناسُ يسألونَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخيرِ وكنتُ أسألُهُ عن الشرِّ مخافةَ أن يُدركني ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إنَّا كُنَّا في الجاهليةِ وشرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ، فهل بعد هذا الخيرِ من شرٍّ ؟ قال: (نعم). قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: نعم، وفيه دَخَنٌ). قلتُ وما دَخَنُهُ ؟ قال: (قومٌ يهدونَ بغيرِ هديي، تعرفُ منهم وتُنكر). قلتُ: فهل بعد ذلك الخيرِ من شرٍّ؟ قال: (نعم، دعاةٌ إلى أبوابِ جهنمَ، من أجابهم إليها قذفوهُ فيها). قلتُ: يا رسولَ اللهِ، صِفْهُمْ لنا؟ فقال: (هم من جلدتنا، ويتكلَّمونَ بألسنتنا). قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تَلْزَمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامه، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: (فاعتزلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ، حتى يُدركَكَ الموتُ وأنت على ذلك.)[63]

قوله: (**في الجاهلية وشر**)، يشير إلى ما كان من قبل الإسلام من الكفر وقتل بعضهم بعضا، ونهب بعضهم بعضا، وإتيان الفواحش. قوله: (**فجاءنا الله بهذا الخير**) يعني: الإيمان والأمن، وصلاح الحال واجتناب الفواحش، وقوله: (**فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم**)، والمراد بالشر: ما يقع من الفتن وقوله: (**قال: نعم، وفيه دخن**) وهو الحقد، وقيل: الدغل، وقيل: فساد في القلب، ومعنى الثلاثة متقارب. يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيرا خالصا بل فيه كدر. فكأن المعنى: أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض. قوله: (**قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**)، يعني: من أعمالهم، وقوله: (**دعاة**) جمع داع، أي: إلى غير الحق. قوله: (**على أبواب**

63 البخاري، حديث: 7084 ومسلم، حديث: 1847.

جهنم) أطلق عليهم ذلك باعتبار ما يئول إليه حالهم، كما يقال لمن أمر بفعل محرم: وقف على شفير جهنم. قوله: **(هم من جلـــــدتنا)**، أي: من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب. والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر: الأمـــراء بعده، فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل، وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمـــل بالجور، من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، وإلى ذلك الإشارة بقولـــه: " الزم جماعة المسلمين وإمامهم "، يعني: ولو جار، وقوله: **(تلـزم جماعـة المسـلمين وإمـــامهم)** أي: أميرهم، زاد في رواية أبي الأسود: " تسمع وتطيع، وإن ضـــرب ظهرك وأخذ مالك "، وكذا في رواية خالد بن سبيع عند الطبراني: " فـــإن رأيت خليفة فالزمه وإن ضرب ظهرك، فإن لم يكن خليفة فاهرب ". قولـــه: **(ولـــو أن تعض)** أي: ولو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه، وقولـــه: **(وأنت على ذلك)** أي: العض، وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا. قال البيضاوي: المعنى: إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمـــل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشـــقة، أو: المراد: اللـــزوم، كقوله في الحديث الآخر: " عضوا عليها بالنواجذ "، ويؤيد الأول قوله في الحديث الآخر: " فإن مت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبـــع أحـــد ا منهم ". وقال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وتـــرك الخروج على أئمة الجور؛ لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم " دعـــاة على أبـــواب جهنم "، و لم يقل فيهم: " تعرف وتنكر " كما قال في الأولين، وهم لا يكونـــون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة. قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة: الســـــواد الأعظم، وقال قوم: المراد بهم: أهل العلم؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم

في أمر الدين. قال الطبري: والصواب: أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الـــذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعـــة، قـــال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابا فلا يتبع أحدا في الفرقـــة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر، وعلى ذلك يتترل مـــا جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها، ويؤيده روايـــة عبد الرحمن بن قرط المتقدم ذكرها، قال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمـــة الله في عباده كيف أقام كلا منهم فيما شاء، فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعلموا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سببا في دفعه عمن أراد الله له النجاة، وفيه سعة صدر النبي ﷺ، ومعرفته بوجـــوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه، ويؤخذ منه أن كل من حبب إليه شيء فإنه يفوق فيه غيره، ومن ثم كان حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمـــه غيره حتى خص بمعرفة أسماء المنافقين وبكثير من الأمور الآتية، ويؤخذ منـــه أن من أدب التعليم أن يعلم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلا إليه من العلوم المباحـــة؛ فإنه أجدر أن يسرع إلى تفهمه والقيام به، وأن كل شيء يهدي إلى طريـــق الخير يسمى خيرا، وكذا بالعكس، ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلا خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعا لذلك الأصل الذي ابتدعوه، وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع.[64]

64 فتح الباري بشرح صحيح البخاري باختصار.



30- (عَنِ أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ، ومُعاذٌ رَديفُهُ علَى الرَّحْلِ، قال: يا مُعاذَ بن جبلٍ. قال: لَبَّيْك يا رسولَ اللهِ وسعدَيك، قال: يا مُعاذُ. قال: لَبَّيك يا رسولَ اللهِ وسعدَيك، ثلاثا، قال: ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، صدقًا من قَلْبِهِ إلا حرمهُ اللهُ على النارِ. قال: يا رسولَ الله، أفلا أُخبِرِ به الناس فَيَستَبْشِروا؟ قال: إذًا يَتَّكِلُوا. وأخبر بها مُعاذٌ عِندَ موته تأَثُّمًا.)[65]

قوله : (**فأخبر بها معاذ عند موته تأثما**) قال أهل اللغة : تأثم الرجل ؛ إذا فعل فعلا يخرج به من الإثم. وتحرج : أزال عنه الحرج . وتحنث : أزال عنه الحنث . ومعنى تأثم معاذ أنه كان يحفظ علما يخاف فواته وذهابه بموته ، فخشي أن يكون ممن كتم علما ، وممن لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ في تبليغ سنته فيكون آثما ، فاحتاط وأخبر بهذه السنة مخافة من الإثم ، وعلم أن النبي ﷺ لم ينهه عن الإخبار بها نهي تحريم. قال القاضي عياض رحمه الله : لعل معاذا لم يفهم من النبي ﷺ النهي، لكن كسر عزمه عما عرض له من بشراهم ، بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه : " من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا قلبه فبشره بالجنة " قال : أو يكون معناه بلغه بعد ذلك أمر النبي ﷺ لأبي هريرة ، وخاف أن يكتم علما علمه فيأثم ، أو يكون حمل النهي على إذاعته . وهذا الوجه ظاهر . وقد اختاره الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله فقال : منعه من التبشير العام خوفا من أن يسمع ذلك من لا

65 البخاري، حديث: 128 ومسلم، حديث 32.



خبرة له ولا علم فيغتر ويتكل . وأخبر به ﷺ على الخصوص من أمن عليه الاغترار والاتكال من أهل المعرفة . فإنه أخبر به معاذا فسلك معاذ هذا المسلك فأخبر به من الخاصة من رآه أهلا لذلك. والله أعلم.[66]



66 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج بتصرف.

31- (عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ، غَيْرُ مُصْفِحٍ عَنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:" أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَاللَّهِ، لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ ؛ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ؛ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ؛ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ.)[67]

قوله: (**لضربته بالسيف غير مصفح**) أي غير ضارب بصفح السيف وهو جانبه بل أضربه بحده. قوله ﷺ: "**إنه لغيور وأنا أغير منه**" وفي الرواية الأخرى: (**والله أغير مني من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**) قال العلماء: الغيرة بفتح الغين وأصلها المنع والرجل غيور على أهله أي يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر أو حديث أو غيره، والغيرة صفة كمال فأخبر ﷺ بأن سعدا غيور، وأنه أغير منه، وأن الله أغير منه ﷺ، وأنه من أجل ذلك حرم الفواحش ، فهذا تفسير لمعنى غيرة الله تعالى أي أنها: منعه سبحانه وتعالى الناس من الفواحش لكن الغيرة في حق الناس يقارنها تغير حال الإنسان وانزعاجه، وهذا مستحيل في غيرة الله تعالى[68]. قوله ﷺ: (**لا شخص أغير من الله تعالى**) أي لا أحد، وقيل: معناه لا ينبغي لشخص أن

67 البخاري، حديث: 7416، مسلم، حديث: 1499.

68 ومذهب السلف هو إثبات معاني صفات الله تعالى وتفويض كيفيتها، فإنه تعالى كما أخبر عن نفسه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ).



يكون أغير من الله تعالى ولا يتصور ذلك منه، فينبغي أن يتأدب الإنسان بمعاملتـــــه سبحانه وتعالى لعباده، فإنه لا يعاجلهم بالعقوبة بل حذرهم وأنذرهم وكرر ذلـــك عليهم وأمهلهم، فكذا ينبغي للعبد ألا يبادر بالقتل وغيره في غير موضعه، فـــإن الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة مع أنه لو عاجلهم كان عدلا منه سبحانه وتعالى. قوله ﷺ: **(ولا شخص أحب إليه العذر من الله تعالى من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب إليه المدحة من الله من أجل ذلك وعد الجنة)** معنى الأول ليس أحد أحب إليه الأعذار من الله تعالى، فالعذر هنا بمعنى الإعـــــذار والإنذار قبل أخذهم بالعقوبة، ولهذا بعث المرسلين كما قال سبحانه وتعالى: **(ومـــا كنـــا معـــذبين حـــتى نبعث رســـولا)** والمدحة بكسر الميم وهو المدح بفتح الميم ، فإذا ثبتت الهاء كسرت الميم، وإذا حذفت فتحت. ومعنى من أجل ذلك وعد الجنة أنـــه لما وعدها ورغب فيها كثر سؤال العباد إياها منه والثناء عليه والله أعلم.[69]

69 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج بتصرف.

32- (عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ؛ ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ شَهْرُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ"، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: "أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟" قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: "فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟" قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: "فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: " أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟" قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ – قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، أَوْ ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؛ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ". ثُمَّ قَالَ: "أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟". قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي رِوَايَتِهِ: "وَرَجَبُ مُضَرَ". وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: " فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي.)[70]

وقد أجمع المسلمون على أن الأشهر الحرم الأربعة هي هـــذه المذكورة في الحديث، وأما قوله ﷺ: **(ورجب مضـر الـذي بين جمادى وشـعبان)** وإنما قيده هذا التقييد مبالغة في إيضاحه وإزالة للبس عنه، قالوا: وقد كان بين بني مضـــر وبين ربيعـــة

70 البخاري، حديث: 4406، مسلم، حديث: 1679.

اختلاف في رجب ، فكانت مضر تجعل رجبا هذا الشهر المعـــروف الآن ، وهـــو الذي بين جمادى وشعبان ، وكانت ربيعة تجعله رمضان ، فلهذا أضافه النـــبي ﷺ إلى مضر. وأما قوله ﷺ :(**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض**) فقال العلماء : معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليـــات، فكـــانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة، حـــتى اختلـــط عليهم الأمر، وصادفت حجة النبي ﷺ تحريمهم، وقد تطابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه، فأخبر النبي ﷺ أن الاستدارة صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السماوات والأرض. وقال أبـــو عبيدة : كانوا ينسئون، أي : يؤخرون وهو الذي قال الله تعالى فيه: (**إنما النســـيء زيادة في الكفر**) فربما احتاجوا إلى الحرب في المحرم ، فيؤخرون تحريمه إلى صفر، ثم يؤخرون صفرا في سنة أخرى، فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلى موضـــــعه. وذكر القاضي وجوها أخر في بيان معنى هذا الحديث ليســـت بواضـــحة وينكـــر بعضها. قوله: (**ثم قال : أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا. بلى، قال: فأي بلد هذا ؟ قلنـــا . الله ورســـوله أعلم** ...) إلى آخره ، هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم، وقولهم : " الله ورسوله أعلم " . هذا من حسن أدبهم ، وأنهم علموا أنه ﷺ لا يخفى عليـــه مـــا يعرفونه من الجواب فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون. قولـــــه ﷺ: (**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا**



في شهركم هذا) المراد بهذا كله: بيان توكيد غلظ تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك. قوله ﷺ: **(فلا ترجعن بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض)** هذا الحديث سبق شرحه في كتاب الإيمان في أول الكتاب، وذكر بيان إعرابه، وأنه لا حجة فيه لمن يقول بالتكفير بالمعاصي، بل المراد به كفران النعم، أو هو محمول على من استحل قتال المسلمين بلا شبهة. قوله ﷺ: **(ليبلغ الشاهد الغائب)** فيه: وجوب تبليغ العلم ، وهو فرض كفاية، فيجب تبليغه بحيث ينتشر. قوله ﷺ: **(فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه)** احتج به العلماء لجواز رواية الفضلاء وغيرهم من الشيوخ الذين لا علم لهم عندهم ولا فقه، إذا ضبط ما يحدث به.[71]



71 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج بتصرف.

الحث على تبليغ السماع

33- (عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ". هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رَوَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.)[72]

قوله: (**سمع منا شيئا**) وفي رواية ابن ماجه حديثا بدل شيئا. قال الطيبي: يعم الأقوال والأفعال الصادرة من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يدل عليه صيغة الجمع في منا. قلت: الظاهر عندي أن المعنى: من سمع مني أو من أصحابي حديثا من أحاديثي فبلغه إلخ والله تعالى أعلم (**فبلغه كما سمعه**) أي من غير زيادة ونقصان، وخص مبلغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله، وهذا يدل على شرف الحديث وفضله ودرجة طلابه حيث خصهم النبي ﷺ بدعاء لم يشرك فيه أحد من الأمة ولو لم يكن في طلب الحديث وحفظه وتبليغه فائدة سوى أن يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة وغنما وجل في الدارين حظا وقسما. وقال محيي السنة: اختلف في نقل الحديث بالمعنى وإلى جوازه ذهب الحسن والشعبي والنخعي، وقال مجاهد: انقص من الحديث ما شئت ولا تزد، وقال سفيان: إن قلت حدثتكم كما سمعت فلا تصدقوني فإنما هو المعنى، وقال وكيع: إن لم يكن المعنى واسعا فقد هلك الناس، وقال أيوب عن ابن سيرين: كنت أسمع الحديث عن عشرة واللفظ مختلف والمعنى واحد. وذهب قوم إلى اتباع اللفظ منهم ابن عمر وهو قول القاسم بن محمد وابن

72 الترمذي،حديث: 2657 وقال حديث حسن صحيح.



سيرين ومالك بن أنس وابن عيينة. وقال محيي السنة: الرواية بالمعنى حرام عند جماعات من العلماء وجائزة عند الأكثرين والأولى اجتنابها انتهى. قلت: مسألة الرواية بالمعنى مبسوطة في كتب أصول الحديث عليك أن تراجعها[73] (**فرب**) لتقليل وقد ترد للتكثير (**مبلغ**) بفتح اللام وأوعى نعت له والذي يتعلق به رب محذوف وتقديره يوجد أو يكون ، ويجوز على مذهب الكوفيين في أن رب اسم أن تكون هي مبتدأ وأوعى الخبر فلا حذف ولا تقدير والمراد رب مبلغ عني أوعى أي أفهم لما أقول من سامع مني، وصرح بذلك، أبو القاسم بن منده في روايته من طريق هوذة عن ابن عون ولفظه: فإنه عسى أن بعض من لم يشهد أوعى لما أقول من بعض من شهد.[74]



73 "فإن لم يكن عالما عارفا بالألفاظ ومقاصدها، خبيرا بما يحيل معانيها، بصيرا بمقادير التفاوت بينها، فلا خلاف أنه لا يجوز له ذلك، وعليه أن لا يروي ما سمعه إلا على اللفظ الذي سمعه من غير تغيير.

فأما إذا كان عالما عارفا بذلك، فهذا مما اختلف فيه السلف، وأصحاب الحديث، وأرباب الفقه، والأصول، فجوزه أكثرهم، ولم يجوزه بعض المحدثين، وطائفة من الفقهاء، والأصوليين من الشافعيين، وغيرهم.

ومنعه بعضهم في حديث رسول الله ﷺ، وأجازه في غيره.

والأصح: جواز ذلك في الجميع، إذا كان عالما بما وصفناه قاطعا بأنه أدى معنى اللفظ الذي بلغه ; لأن ذلك هو الذي تشهد به أحوال الصحابة، والسلف الأولين، وكثيرا ما كانوا ينقلون معنى واحدا في أمر واحد بألفاظ مختلفة، وما ذلك إلا لأن معولهم كان على المعنى دون اللفظ." (مقدمة ابن الصلاح، ص 213، ت عتر)

74 تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.

34- (عَن أَبِي العبَّاسِ عبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: (يَا غُلاَمُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ). رواه التِّرمذيُّ، وقالَ: (حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ). وفي روايةِ غيرِ التِّرمذيّ: (احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.)[75]

الحديث أصل في الإيمان بالشرع والقدر، وهو حديث عظيم كثير الفوائد:

1- التواضع للصغار وتعليمهم. 2- من حسن التعليم التمهيد لما يراد من الكلام، لقوله ﷺ: **(يا غلام إني أعلمك كلمات)**. 3- فضل ابن عباس رضي الله عنهما، حيث رآه النبي ﷺ أهلاً لهذه الوصايا مع صغر سنه. 4- الوصية بحفظ العبد لربه، ومعناه مراقبته وطاعته فحقيقته حفظ الدين، والحفظ ضد الإضاعة. 5- أن الجزاء من جنس العمل، فمن حفظ الله حفظه وعَكْسُه بعكسه، فمن لم يحفظ الله لم يحفظه، وحفظ الله للعبد كفايته له ووقايته وهدايته، فقوله **(احفظ الله يحفظك)** نظير لقوله **(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)**. 6- أن حفظ الله سبب لمعيته الخاصة المتضمنة للنصر

75 الترمذي، حديث: 2516، وقال حديث حسن صحيح.

والتأييد والكفاية. 7- فضل التقرب إلى الله بطاعته وتقواه في حال الرخـــاء، وهي حال الصحة والأمن والغنى. 8- أن من اتقى الله في الرخاء وقاه الله ما يكره ويسَّر أموره وهوَّن عليه الشدائد، وكشف غمّه وهمه ونفّس كربته، وهذا معـــنى قولـــه (**يعرفـــك في الشـــدة**). 9- تحقيق التوحيد بالاستغناء بالله عن خلقه بترك سؤالهم وترك الاستعانة بهم وصرفِ ذلك لله وحده، فيترل العبد حوائجـــه بربـــه ويطلب العون منه. 10- إثبات القدر خيره وشره. 11- أن ما يقع من المنافع والمضــــار والنعم والمصائب مكتوب، وأن ما لم يُكتب لا يكون. 12- أن الخلق لا يقدرون على تغيير ما سبق به القدر والكتاب الأول. 13- إثبات الأسباب. 14- إثبـــات تأثير الأسباب بالنفع والضرر، وأنها لا تخرج عن قدر الله. 15- وجوب توحيد الله بالخوف والرجاء والتوكل. 16- أن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئـــه، ومـــا أخطأه لم يكن ليصيبه، ومعنى ذلك أن ما أصاب الإنسان قد سبق القدر بأنه يصيبه وأن ما أخطأ الإنسان قد سبق القدر أنه لا يصيبه. 17- الترغيب في الصبر وأنـــه سبب في النصر. 18- لطف الله بعباده إذ يأتي بالفرج بعد الكرب وباليسر بعـــد العسر. 19- أن كل ما في الوجود قد فُرغ منه، لقولـــه ﷺ: (**رفعت الأقلام وجفت الصحف**) فلا تغيير لما سبق به علم الله ولا كتابه. 20- كتابة المقادير.

21- الإرشاد إلى حسن الظن بالله وانتظار الفرج واليسر عند الكرب والعســـر، وترك القنوط من رحمته. 22- البشارة بالنصر إذا تحقق الصبر، وبالفرج إذا اشـــتد الكرب، وأن العسر لا يدوم بل يعقبه يسر بل يسران كقوله تعالى: (**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرً**). 23- أن الإيمان بالقدر يهون المصيبة ويعين على الصبر ويمنع من الاعتماد على الأسباب.[76]

---

76 شرح الأربعين النووية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك.

مجاهدة المشركين بالمال والنفس

35- (عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: جاهِدوا المشرِكينَ بأموالِكُم، وأنفسِكم، وألسنتِكُم.)[77]

(**جاهدوا المشركين... إلخ**): قال في السبل: الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، وباللسان بإقامة الحجة عليهم ودعائهم إلى الله تعالى والزجر ونحوه من كل ما فيه نكاية للعدو (**ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح**)[78].

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

"وجاهدوا في الله حق جهاده والجهاد بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله **بكل طريق موصل إلى ذلك ، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ**، وغير ذلك، هو **اجتباكم**؛ أي: اختاركم - **يا معشر المسلمين** - من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل، فقابلوا هذه المنحة العظيمة بالقيام بالجهاد فيه حق القيم، ولما كان قوله: وجاهدوا في الله حق جهاده ربما توهم متوهم أن هذا من باب تكليف ما لا يطاق، أو تكليف ما

77 حديث صحيح، أبو داود، حديث: 2504، والنسائي، حديث: 3096، والدارمي، حديث: 2454, وأحمد، 12246.

78 عون المعبود شرح سنن أبي داود.



يشق، احترز منه بقوله: وما جعل عليكم في الدين من حرج؛ أي: مشقة وعســـــر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة"[79].



79 تفسير السعدي، سورة الحج الآية: 78، ص 593.

الأمر بالتيسير وترك التنفير

36- (عن أَنَسٍ رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: يَسِّـرُوا وَلَا تُعَسِّـرُوا وَسَـكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا)[80]

إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده لأنه قد يفعلهما في وقتين فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أومرات وعسر في معظم الحالات فإذا قـال ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلـوب وكذا يقال في يسرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا لأنهما قـد يتطاوعـان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير وفيه تـأليف من قـرب إسلامه وترك التشديد عليهم وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ومن بلغ ومن تاب من المعاصي كلهم يتلطف بهم ويدرجون في أنواع الطاعـة قليلا قليلا وقـد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالبا التزايد منها ومتى عسرت عليه أو شك أن لا يدخل فيها وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحليها وفيه أمـر الولاة بالرفق واتفاق المتشاركين في ولاية ونحوها وهذا من المهمات فـإن غـالب المصالح لا يتم إلا بالاتفاق ومتى حصل الاختلاف فات وفيه وصية الإمام الولاة وإن كانوا أهل فضل وصلاح كمعاذ وأبي موسى فإن الذكرى تنفع المؤمنين.[81]

80 البخاري، حديث:6125، ومسلم، حديث:1734.

81 شرح النووي على مسلم.

من مات وهو يعلم كلمة التوحيد

37- (عَنْ عُثْمَانَ بنِ عَفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ دَخَلَ الْجَنَةَ)[82]

مذهب أهل السنة يقولون: إن العاصي الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله مستيقنا بها قلبه هو مؤمن وإن ارتكب الكبائر، ومصيره الجنة وإن لم يغفر له، وأنه وإن عذب بالنار لمعاصيه، فلا بد من إخراجه منها وإدخاله الجنة بإيمانه، ويقولون: بما أن النصوص تظاهرت، ودلت دلالة قطعية على أن بعض العصاة المؤمنين يعذبون، فإنه ينبغي أن لا تؤخذ أحاديث الباب على ظاهرها، ولا على عمومها، وأنه ينبغي أن تحمل محملا يتفق والنصوص المتظاهرة القطعية.

والمراد من دخول الجنة في الأحاديث أنه المآل عاجلا أو آجلا، من غير دخول النار للبعض، وبعد دخول النار للبعض الآخر، من غير دخول النار لمن مات تائبا، أو سليما من المعاصي، أو شمله عفو الله ورحمته، وبعد دخول النار لمن أخذ بذنبه.

والمراد من تحريم النار الوارد في الأحاديث بالنسبة إلى البعض المؤاخذ بذنبه تحريم خلوده فيها، لا أصل دخولها.

أو المراد بالنار المحرمة النار المعهودة المعدة للكافرين، لا الطبقة التي أفردت لعصاة المؤمنين.

أو المراد تحريم النار على بعضه لأن النار لا تأكل مواضع السجود من المسلم، وكذا لسانه الناطق بالتوحيد - كذا قيل-.

82 مسلم، حديث: 26.



والاقتصار في بعض الأحاديث على شهادة أن لا إله إلا الله يحتمل أنه من تقصير الرواة في الحفظ والضبط، لا من رسول الله ﷺ، بدليل مجيئه بالشهادتين تاما في أحاديث أخرى. كذا قال ابن الصلاح، ويجوز أن يكون اختصارا من رسول الله ﷺ وأن هذه الشهادة كناية عن الشهادتين، لأنها شرعا مستلزمة للأخرى، إذ من كذب رسول الله ﷺ فقد كذب الله فهو مشرك، أو الكلام من قبيل قولهم: من توضأ صحت صلاته، أي مع سائر الشرائط المعتبرة، فهو من باب الاكتفاء للعلم بالمحذوف.

وتحريم النار على بعض المؤمنين ودخولهم الجنة دون عذاب لا يتعارض مع قوله تعالى: {وإن منكم إلا واردها} [مريم: 71] أي وارد النار، لأن المراد من الورود المرور على الصراط، وهو منصوب على ظهر جهنم، ولا يلزم من المرور عليها العذاب بها.

ويؤخذ من الحديث:

1 - أن أصحاب الكبائر من المؤمنين لا يخلدون في النار.

2 - أن كل الموحدين يدخلون الجنة.

3 - أن غير الموحدين لا يدخلون الجنة.[83]

83 فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للدكتور موسى شاهين لاشين.

أي الإسلام خير

38- (عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلامِ خَيرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)[84]

من أهم شعب الإيمان، وأبرز خصال الإسلام، إطعام الطعام، وإفشاء الســـــلام، إذ بهما يكون التآلف والإخاء، وبهما تصبح الأمة الإسلامية كالجسد الواحد، تتعاون أعضاؤه على خيرها، وتتسالم وتتكاتف على دفع الضرر عنها، ويشد بعضها بعضا تحقيقا لمتانتها وصلابتها وقوتها.

إن الإسلام دين ودنيا، بل إن دنياه مزرعة لدينه، ودينه لخير دنياه وأخراه، إنه يضع قواعد المجتمع السليم، والمدنية الفاضلة، في خصلتين اثنتين وما أسهلهما، وما أيسر أداءهما، وما أعظم نفعهما، وما أكبر أثرهما.

إنهما التعاون المالي والبدني، إنهما إنفاق الطعام، وإعطاء الأمن والأمان.

فما أحكم الرسول النبي الأمي، الذي أعطي جوامع الكلم، والـــذي لا ينطـــق عن الهوى حين يسأله السائل: أي خصال الإسلام خير يا رسول الله؟ لنتسابق إليهــــا، ونحرص عليها فوق حرصنا على غيرها.

لقد كان الجواب الرائع منحصرا في جملتين: تطعم الطعام، وتقـــرأ الســـلام. تطعم طعامك والديك وأولادك وأهلك، فلا تكن شحيحا عليهم مقترا في الإنفـــاق على طعامهم، تطعم طعامك الأغنياء وذوي الجاه، لتحظى بحقـــك عنـــدهم، وتؤكـــد الروابط بين طبقات المجتمع السليم، تطعم طعامك الفقراء والمساكين وابن السبيل،

84 البخاري، حديث: 12، ومسلم، حديث: 39.



لتفوز بدعائهم، وثواب برهم وصلتهم، تطعم طعامك العدو والصديق لتؤلـــف بين القلوب، وتدرأ غوائل الإحن والأحقاد ولتزداد المودة والمحبة بينـــك وبين الخلان، تطعم طعامك الطير والحيوان، لتنمو في صدرك صفة الرحمة، فتسعد برحمة الرحمن. بذلك تحقق الأمن لنفسك ممن حولك، ويبقى عليك أن تؤمن من معـــك، فـــاقرأ السلام وأعط الأمان لكل من تلقاه، وسلم على من تعرف ومن لا تعرف، فتتقارب النفوس المتباعدة، وتتجاوب القلوب المتنافرة، وتتعارف الأرواح المتذاكرة.

بهاتين الخصلتين يتم الأمن والأمان، وتتحقق المحبة والوئام، ويسود الصفاء والسلام وتتجلى بأبرز صورها مظاهر الإسلام.[85]



85 فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لاشين.

39 – (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لاتَّبَعْتُمُوهُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟!)[86]

(لتتبعن سنن الذين قبلكم) بفتح السين والنون وهو الطريق والمراد اتباع طريقهم في المعاصي والسيئات لا في الكفر، (شبرا بشبر وذراعا بذراع) كناية عن تمام الموافقة لهم (حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم) جحر الضب مثل في الضيق والتعاريج وهو كناية عن تمام المتابعة وفيه تمثيل بالمستحيل قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن) مبتدأ حذف خبره أي فمن غيرهما؟ والاستفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أحد غيرهما.

ويحذر ﷺ من زمن يصبح فيه المسلمون أتباعا لأعدائهم مقلدين لهم في شعائرهم وحياتهم والتابع مغرم بتقليد المتبوع يحذر من اتباعهم يحذر من هذا الزمن الذي نعيش فيه نحتفل فيه بأعيادهم ونلبس ملابسهم ونحلق لحانا لتكون كلحاهم ونسمح لنسائنا أن يقلدن نساءهم في الاختلاط واللباس والعلاقات الجنسية والاجتماعية وحتى في أخلاقهم الفاسدة وجحورهم الخربة ندخلها اليوم كما يدخلون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[87]

86 البخاري، حديث: 3456، ومسلم، حديث: 2669.

87 فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لاشين.

من أشراط الساعة رفع العلم

40 – (عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ قَال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا)[88]

من أشراط الساعة وعلاماتها وأماراتها أن يرفع الله العلم وليس من صدور العلماء بل بموت العلماء فكل عالم يموت إن لم يورث علمه لتلميذ أو لتلاميذ يموت معه علمه وكلما بعد الناس عن مصدر التشريع وطال بهم الزمن كلما نضب معين العلم الديني وبردت حرارته في القلوب حتى ينتهي الأمر بقبض العلم وانتشار الجهل واستعلاء الجهلاء وتقمصهم دور العلماء يستفتون فيفتون بغير علم فيضلون في أنفسهم ويضلون غيرهم ومن أشراط الساعة أيضا انتشار الزنى وشيوعه وقلة الاستحياء منه والمجاهرة به. ومن أشراطها كثرة شرب الخمر والتجاهر بها وتسميتها بغير اسمها واستحلالها. ومن أشراطها كثرة النساء وقلة الرجال بسبب الحروب وغيرها. ومن أشراطها كثرة القتل لأتفه الأسباب بل قتل الولد أباه وأمه وأخاه وأخته وكثرة الحروب وانتشار أسلحة الدمار الشامل. ومن أشراطها كثرة الفتن والوشايات والضغائن والتحاسد والتدابر. ومن أشراطها تقارب الزمان وضعف البركة فيه وقلة العمل الأخروي وتضييع الوقت فيما لا يغني ولا يفيد حتى تضيع قيمته ويمر مر السحاب ولا يحس المرء بعمره وكأنه لم يعش إلا ساعة من نهار.[89]

88 البخاري، حديث: 80، ومسلم، حديث: 2671.

89 فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لاشين.

حق المسلم على المسلم

41 – (عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ. مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.)[90]

قوله: (**المسلم أخو المسلم**) هذه أخوة الإسلام ، فإن كل اتفاق بين شيئين يطلق بينهما اسم الأخوة ، ويشترك في ذلك الحر والعبد والبالغ والمميز. قوله: (**لا يظلمه**) هو خبر بمعنى الأمر فإن ظلم المسلم للمسلم حرام . وقوله: (**ولا يسلمه**) أي لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجبا وقد يكون مندوبا بحسب اختلاف الأحوال، وزاد الطبراني من طريق أخرى عن سالم: "ولا يسلمه في مصيبة نزلت به" . ولمسلم في حديث أبي هريرة: "ولا يحقره" وهو بالمهملة والقاف، وفيه: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم".[91]

(**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**)، أي: أعانه عليها ، ولطف به فيها. قوله ﷺ: (**ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**)، في هذا فضل إعانة المسلم، وتفريج الكرب عنه ، وستر زلاته ، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو

90 البخاري، حديث: 2442، ومسلم، حديث: 2580.

91 فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته، وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب ألا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة ; لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد، وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره على مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، وأما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه، ومنعه منها على من قدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها، فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة، وأما جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجة، ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة، وهذا مجمع عليه ، قال العلماء في القسم الأول الذي يستر فيه: هذا الستر مندوب، فلو رفعه إلى السلطان ونحوه لم يأثم بالإجماع، لكن هذا خلاف الأولى، وقد يكون في بعض صوره ما هو مكروه، والله أعلم.[92]

---

92 شرح النووي على مسلم.

حرمة المسلم

42 – (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُه، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا – وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ – بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ ".)[93]

"لا يخذله" فقال العلماء: الخذل: ترك الإعانة والنصر، ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه، و لم يكن له عذر شرعي، "ولا يحقره" هو بالقاف والحاء المهملة أي: لا يحتقره، فلا ينكر عليه، ولا يستصغره ويستقله، قال القاضي: ورواه بعضهم: "لا يخفره" بضم الياء، والخاء المعجمة والفاء، أي: لا يغدر بعهده، ولا ينقض أمانه، قال: والصواب المعروف هو الأول، وهو الموجود في غير كتاب مسلم بغير خلاف، وروي "لا يحتقره"، وهذا يرد الرواية الثانية. قوله ﷺ: (التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرار) ، وفي رواية:"إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم" معنى الرواية الأولى أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته، ومعنى نظر الله هنا: مجازاته ومحاسبته أي: إنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة، ونظر الله: رؤيته محيط بكل شيء، ومقصود الحديث أن الاعتبار في هذا كله بالقلب، وهو من نحو قوله ﷺ: "ألا إن في الجسد مضغة" الحديث، قال

93 البخاري، حديث: 2442، ومسلم واللفظ لمسلم، حديث: 2580.



المازري: واحتج بعض الناس بهذا الحديث على أن العقل في القلب لا في الـــــرأس، وقد سبقت المسألة مبسوطة في حديث: " ألا إن في الجسد مضغة".[94]



94 شرح النووي على مسلم.

القتال من أجل كلمة التوحيد

43 – (عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ قَـالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِـرْتُ أَنْ أُقاتِـلَ النَّاسَ حَتّى يَقُولُـوا لا إِلـهَ إِلاّ اللهُ، فَمَنْ قَـالَ لا إِلـهَ إِلاّ اللهُ فَقَـدْ عَصَـمَ مِنّي نَفْسَـهُ ومالَـهُ إِلاّ بِحَقِّـهِ، وَحِسابُهُ عَلى اللهِ.)[95]

يقول الإمام النووي: [**باب في إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعـــالى**]: الأصل فيمن قال: لا إله إلا الله أنه مسلم، وينبغي أن يتعامل معه على أنه مسلم، إذ إن الأحكام تجري على ما يظهر من الإنسان، فمن عرف عنه أداء الصلاة والصوم في نهار رمضان فهو مسلم، أما السرائر فتوكل إلى الله عز وجل، فلم يؤمر العبد أن ينقب عن سريرة أي إنسان.

قال الله تعالى: **{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}** [التوبة:5]، أي: أن هؤلاء الكفار الذين يحاربون الإسلام إذا تابوا فشهدوا أن لا إلـــه إلا الله، وعرف أنهم يصلون ويدفعون الزكـــاة إذا طلبت منهم، وجب أن يخلى ســـبيلهم ويعدوا إخواناً للمسلمين في الدين قال تعالى: **{فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ}** [التوبة:11].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أقاتل النـــاس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماؤهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحســـابهم على الله تعالى)، الحديث متفق عليه.

95 البخاري، حديث: 2946، مسلم، حديث: 21.

وفيه: أن النبي ﷺ مأمور بجهاد الكفار إلى أن يسلموا ويدخلوا في دين الله سبحانه وتعالى، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، لقوله سبحانه وتعالى: **{حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}** [التوبة:29].

فإذا التقى المسلمون مع المشركين كان لهم أن يدعوهم إلى إحدى ثلاث خصال: إما أن يسلموا فيكف عنهم ويقبل منهم، وإما أن يدفعوا الجزية وهم على دينهم، فيقبل منهم ويكف عنهم، وإما أن يصروا على القتال فيقاتلوا ويحاربوا؛ لأنهم إن أسلموا وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقاموا الصلاة وأدوا الزكاة فقد عصموا دماهم وأموالهم، وعند ذلك لا يجوز أن يؤخذ مال مسلم بغير طيب نفس منه.

قوله ﷺ: **(إلا بحق الإسلام)** أي: إلا أن يأتي شيئاً فيه القصاص، كمن أسلم ثم قتل عمداً وعدواناً، فإنه يستحق القصاص، أو قطع يد إنسان عمداً وعدواناً، فيستحق أن تقطع يده، وهكذا.

قوله: **(وحسابهم على الله تعالى)** أي: أنهم إذا أتوا بالأشياء الظاهرة فليس لنا عليهم شيء، وأمرهم إلى الله، وإن كان من فعل تلك الأشياء الظاهرة يبطن النفاق والكفر، فلا شأن لنا به طالما أظهر لنا الإسلام، فنعامله على ما يظهر منه، أما ما أبطنه فالله عز وجل يتولى أمره فيه.[96]

96 شرح رياض الصالحين، الطيب أحمد حطيبة

الصبر عند الصدمة الأولى

44 – (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: "اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي". قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى".)[97]

قوله: "اتقي الله" توطئة لقوله: "واصبري"، كأنه قيل لها: خافي غضب الله إن لم تصبري، ولا تجزعي ليحصل لك الثواب. قوله: (**إليك عني**) ومعناها تنح وابعد. قوله: "لم تصب بمصيبتي". قوله: (**ولم تعرفه**) أي: خاطبته بذلك و لم تعرف أنه رسول الله. قوله: (**فقيل لها**): إنه رسول الله. فقالت: ما عرفته". وزاد مسلم في رواية له: "فأخذها مثل الموت"؛ أي من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه ﷺ خجلا منه ومهابة. قوله: (**فلم تجد عنده بوابين**) في رواية الأحكام: "بوابا" بالإفراد، قال الزين بن المنير: فائدة هذه الجملة من هذا الخبر بيان عذر هذه المرأة في كونها لم تعرفه، وذلك أنه كان من شأنه أن لا يتخذ بوابا مع قدرته على ذلك تواضعا، وكان من شأنه لا يستتبع الناس وراءه إذا مشى كما جرت عادة الملوك والأكابر، فلذلك اشتبه على المرأة، فلم تعرفه مع ما كانت فيه من شاغل الوجد والبكاء. وقال الطيبي: فائدة هذه الجملة أنه لما قيل لها: إنه النبي ﷺ استشعرت خوفا وهيبة في نفسها، فتصورت أنه مثل الملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول إليه، فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته. قوله: (**فقالت: لم أعرفك**) في

97 البخاري، حديث: 1283، ومسلم، حديث: 926.

حديث أبي هريرة "فقالت:والله ما عرفتك". قوله: (**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**). والمعنى إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر. قال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو. وحكى الخطابي عن غيره أن المرء لا يؤجر على المصيبة؛ لأنها ليست من صنعه، وإنما يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره. وقال الزين بن المنير: فائدة جواب المرأة بذلك أنها لما جاءت طائعة لما أمرها به من التقوى والصبر، معتذرة عن قولها الصادر عن الحزن، بين لها أن حق هذا الصبر أن يكون في أول الحال، فهو الذي يترتب عليه الثواب.

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم: ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من التواضع والرفق بالجاهل، ومسامحة المصاب وقبول اعتذاره، وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفيه أن القاضي لا ينبغي له أن يتخذ من يحجبه عن حوائج الناس ما ينبغي للقاضي، وأن من أمر بمعروف ينبغي له أن يقبل ولو لم يعرف الآمر. وفيه أن الجزع من المنهيات لأمره لها بالتقوى مقرونا بالصبر. وفيه الترغيب في احتمال الأذى عند بذل النصيحة ونشر الموعظة، وأن المواجهة بالخطاب إذا لم تصادف المنوي لا أثر لها. انتهى ملخصا.[98]

98 فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

من لا يرحم لا يرحم

45 – (عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ".)[99]

أنجب ﷺ من خديجة رضي الله عنها سبعة، ثلاثة ذكور، وأربع إناث، أما الذكور فهم القاسم، وبه كان يكنى، والطاهر والطيب، وقيل: إن الطاهر هو الطيب، وأما الإناث فهن فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، وقد مات الذكور صغارا بمكة في عهد أمهم، ومات الإناث كلهن قبله، إلا فاطمة، التي عاشت بعده ستة أشهر، ولما أهديت إليه مارية القبطية أسكنها عوالي المدينة وضواحيها بعيدة عن نسائه، ولم يقسم لها، بل كان يأتيها بدون قسم، فهي مملوكة، وشاء الله أن لا تلد له امرأة من التسع، مع أن بعضهن كانت ولودا عند غيره، وشاء الله أن تلد الأمة ولدا، قبل وفاته ﷺ بعامين، وكأي بشر كبير السن، ليس له ولد حي، فرح بالولد الجديد، فرحا كفرح زكريا بيحيى، أو كفرح إبراهيم بإسماعيل، وفي أول ليلة بشر به سماه إبراهيم، واختار له مرضعة بجوار سكن أمه، وكانت المرضعة زوجة حداد، يملأ بيته دائما بالدخان، ونفخ الكير، وأخذ رسول الله ﷺ يزور ابنه هذا بين الحين والحين، فيأخذه، فيشمه ويضمه ويقبله، ثم يسلمه لمرضعته، ويعود إلى المدينة، وكثيرا ما كان يأخذ معه أنس بن مالك خادمه، أو بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف.

وشاء القدر أن لا تطول فرحة الأب بابنه، فقد مرض الطفل وعمره ثمانية عشر شهرا، وشق على الوالد مرض ولده، فذهب إليه وهو يحتضر، فأخذه وضمه وشمه

99 البخاري، حديث: 7376، وسلم، حديث: 2319.

وقبله، ونفسه في حشرجة الموت، يعلو في صدره وينخفض، إن قلب الأب يتقطع، فهو بشر، ولا يملك لفلذة كبده شيئا، وهو أرحم الناس بالناس، فكيف بابنه الوليد، لقد سقطت دمعتان من عينيه أمام أصحابه، وكان عبد الرحمن بن عوف قد سمعه ينهى عن البكاء عند الميت، فقال له: رسول الله. ما هذا الذي أرى؟ أنت تبكي؟ وكنت تنهى عن البكاء؟ فأتبع رسول الله ﷺ الدمعتين بدمعتين أخريين، وقال: إنما هذه رحمة، وشفقة، لا سخط ولا اعتراض على قدر، لكنه حزن الإنسان، الذي لا يملك دفعه أو كتمانه، وحزني على موت إبراهيم شديد، وعاش ﷺ بعده ثلاثة أشهر، وكان ﷺ عطوفا رحيما بالأطفال، لدرجة تلفت النظر، في البيئة العربية، يصحب معه في المسجد أمامة بنت أبي العاص، ابنة ابنته زينب، تقام الصلاة، فيحملها ويقف، ويقرأ فإذا ركع وضعها على أرض المسجد، يخشى عليها أن تقع منه عند الركوع، ويسجد بجوارها، فإذا قام للركعة الثانية حملها، وهكذا حتى يكمل صلاته، وابنة ابنته على كتفه وصدره، وأمام الوفود، وأكابر القوم يقبل الحسن والحسين، ابني فاطمة، فيعجب الكبراء ويقولون: أهكذا تقبلون أطفالكم؟ فيقول: نعم, فيقول أحدهم: إن لي عشرة من الأبناء، ما قبلت واحدا منهم، فيقول ﷺ: وماذا أفعل؟ وما ذنبي، إذا كان الله قد نزع من قلوبكم الرحمة؟ أما نحن فقد غرس الله الرحمة في قلوبنا. ﷺ.[100]

100 فتح المنعم شرح صحيح مسلم.

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

46 – (عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَـالَ: "لَا يُلْـدَغُ الْمُـؤْمِنُ مِنْ جُحْـرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ".)[101]

قوله ﷺ: (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) الرواية المشهورة: "لا يلدغ" – برفع الغين – وقال القاضي: يروى على وجهين: أحدهما: بضم الغين على الخبر، ومعناه: المؤمن الممدوح، وهو الكيس الحازم الذي لا يستغفل فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن لذلك، وقيل: إن المراد الخداع في أمور الآخرة دون الدنيا. والوجه الثاني: بكسر الغين على النهي، أن يؤتى من جهة الغفلة، قال: وسبب الحديث معروف، وهو أن النبي ﷺ أسر أبا عزة الشاعر يوم بدر، فمن عليه، وعاهده ألا يحرض عليه ولا يهجوه، وأطلقه فلحق بقومه، ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أسره يوم أحد، فسأله المن ، فقال النبي ﷺ: "المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين"، وهذا السبب يضعف الوجه الثاني. وفيه أنه ينبغي لمن ناله الضرر من جهة أن يتجنبها لئلا يقع فيها ثانية.[102]

101 البخاري، حديث: 6133، ومسلم، حديث: 2998.

102 شرح النووي على مسلم.

اتق دعوة المظلوم

47 – (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ".)[103]

أما الكرائم فجمع كريمة. قال صاحب المطالع: هي جامعة الكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة أو كثرة لحم أو صوف. وهكذا الرواية "فإياك وكرائم" بالواو في قوله: وكرائم. قال ابن قتيبة. ولا يجوز إياك كرائم أموالهم بحذفها. ومعنى " ليس بينها وبين الله حجاب " أي أنها مسموعة لا ترد. وفي هذا الحديث قبول خبر الواحد ووجوب العمل به، وفيه أن الوتر ليس بواجب لأن بعث معاذ إلى اليمن كان قبل وفاة النبي ﷺ بقليل بعد الأمر بالوتر والعمل به. وفيه أن السنة أن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال. وفيه أنه لا يحكم بإسلامه إلا بالنطق بالشهادتين، وهذا مذهب أهل السنة كما قدمنا بيانه في أول كتاب الإيمان. وفيه أن الصلوات الخمس تجب في كل يوم وليلة. وفيه بيان عظم تحريم الظلم، وأن الإمام ينبغي أن يعظ ولاته، ويأمرهم بتقوى الله تعالى، ويبالغ في نهيهم عن الظلم، ويعرفهم قبح عاقبته. وفيه أنه يحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة، بل

103 البخاري، حديث: 1496، ومسلم، حديث: 19.



يأخذ الوسط، ويحرم على رب المال إخراج شر المال. وفيه أن الزكاة لا تــــدفع إلى كافر، ولا تدفع أيضا إلى غني من نصيب الفقراء، واستدل بــــه الخطـــابي وســـائر أصحابنا على أن الزكاة لا يجوز نقلها عن بلد المال لقوله ﷺ فترد في فقـــــرائهم، وهذا الاستدلال ليس بظاهر لأن الضمير في فقرائهم محتمــــل لفقــــراء المســـلمين، ولفقراء أهل تلك البلدة والناحية وهذا الاحتمال أظهر، واستدل به بعضهم على أن الكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الشريعة من الصلاة والصوم والزكـــاة وتحريم الزنـــا ونحوها؛ لكونه ﷺ قال: "فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن عليهم"، فــــدل على أنهم إذا لم يطيعوا لا يجب عليهم. وهذا الاستدلال ضعيف فإن المراد أعلمهم أنهم مطالبون بالصلوات وغيرها في الدنيا، والمطالبة في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام، وليس يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها يزاد في عذابهم بســــببها في الآخــــرة ولأنه ﷺ رتب ذلك في الدعاء إلى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم. ألا تراه بــــدأ ﷺ بالصلاة قبل الزكاة، و لم يقل أحد: إنه يصير مكلفا بالصــــلاة دون الزكـــاة. والله أعلم. ثم اعلم أن المختار أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، هذا قول المحققين والأكثرين، وقيل: ليسوا مخاطبين بها، وقيل : مخاطبون بــــالمنهي دون المأمور. والله أعلم.[104]

104 شرح النووي على مسلم.

48 – (عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذُ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ " قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا". ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ".)[105]

قوله: (**ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل**) هو للبعير كالسرج للفرس، أو العود الذي يجعل خلف الراكب يستند إليه، وفائدة ذكره المبالغة في شدة قربه، ليكون أوقع في نفس سامعه أنه ضبط. قوله: (**فقال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله بالنصب**) قوله: (**ثم سار ساعة**) فيه بيان أن الذي وقع في العلم: " قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ " لم يقع النداء الثاني على الفور بل بعد ساعة. قوله: (**هل تدري ما حق الله على عباده**) الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة، والمراد هنا ما يستحقه الله على عباده مما جعله محتما عليهم، وقال القرطبي: حق الله على العباد هو ما وعدهم به من الثواب وألزمهم إياه بخطابه. قوله: (**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا**) المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي، وعطف عليها

105 البخاري، حديث: 6500، ومسلم، حديث: 30.



عدم الشرك لأنه تمام التوحيد، والحكمة في عطفه على العبـــادة أن بعض الكفـــرة كانوا يدعون أهم يعبدون الله، ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخـــرى فاشـــترط نفي ذلك، قال ابن حبان: عبادة الله إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح؛ ولهذا قال في الجواب: "فما حق العباد إذا فعلوا ذلك"، فعبر بالفعل و لم يعبر بالقول.

قوله: (**هـل تـدري مـا حـق العبـاد على الله إذا فعلـوه؟**) الضمير لما تقدم من قوله: يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، قال القرطبي: حق العباد على الله ما وعدهم بـــه من الثواب والجزاء، فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله: "الحق" الـــذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر، ولا الخلف في الوعد، فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بحكم الأمر؛ إذ لا آمر فوقه ولا حكم للعقل؛ لأنه كاشف لا موجب. انتهى.

وفي الحديث جواز ركوب اثنين على حمار، وفيه تواضع النبي ﷺ، وفضل معـــاذ وحسن أدبه في القول وفي العلم برده لما لم يحط بحقيقته إلى علم الله ورسوله، وقرب مترلته من النبي ﷺ، وفيه تكرار الكلام لتأكيده وتفهيمه، واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده ويبين له ما يشكل عليه منه. وقال ابن رجب في شرحه لأوائل البخاري: قال العلماء يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلـــوا أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس؛ لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقـــد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهادا في العمل وخشية لله عز وجل، فأما من لم يبلـــغ مترلته فلا يؤمن أن يقصر اتكالا على ظاهر هذا الخبر. وفي آخر حديث أنس عن معاذ في نحو هذا الحديث: "فقلت: ألا أخبر الناس؟ قال: لا؛ لئلا يتكلوا، فأخبر بها معاذ عند موته تأثما.[106]

106 فتح الباري بشرح صحيح البخاري - بتصرف.

49 – (حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ.)[107]

قوله: (**إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان**) قال في بهجة النفوس: الغدر على عمومه في الجليل والحقير، وفيه أن لصاحب كل ذنب من الذنوب التي يريد إظهارها علامة يعرف بها صاحبها. ويؤيده قوله تعالى: {**يعرف المجرمون بسيماهم**} [الرحمن: 41] وظاهر الحديث أن لكل غدرة لواء فعلى هذا يكون للشخص الواحد عدة ألوية بعدد غدراته، والحكمة في نصب اللواء أن العقوبة تقع غالبًا بضد الذنب، فلما كان الغدر من الأمور الخفية ناسب أن تكون عقوبته بالشهرة ونصب اللواء أشهر الأشياء عند العرب اهـ.

وقال غيره وفيه العمل بظواهر الأمور قال في فتح الباري: وهو يقتضي حمل الآباء على من كان ينسب إليه في الدنيا لا على من هو في نفس الأمر وهو المعتمد.[108]

107 البخاري، حديث: 6177، ومسلم، حديث: 1735.

108 شرح القسطلاني على البخاري.

النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها

50 – (عن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسئلة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسئلة أعنت عليها، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأْتِ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ.)[109]

وفي هذا الحديث فوائد منها كراهة سؤال الولاية سواء ولاية الإمارة والقضاء والحسبة وغيرها ومنها بيان أن من سأل الولاية لا يكون معه إعانة من الله تعالى ولا تكون فيه كفاية لذلك العمل فينبغي أن لا يولى ولهذا قال ﷺ لا نولي عملنا من طلبه أو حرص عليه.[110]

أي أن الإمارة أمر شاق لا يخرج عن عهدتها إلا أفراد من الرجال فلا تسألها عن تشوّف نفس فإنك إن سألتها تركت معها فلا يعينك الله عليها وحينئذٍ فلا يكون فيه كفاية لها ومن كان هذا شأنه لا يولى.

(وإذا حلفت على) محلوف **(يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فكفّر عن يمينك وائت الذي هو خير)** ظاهره تقديم التكفير على إتيان المحلوف عليه والرواية السابقة تأخيره، ومذهب إمامنا الشافعي ومالك والجمهور جواز التقديم على الحنث لكن يستحب كونه بعده، واستثنى الشافعي التكفير بالصوم لأنه عبادة بدنية فلا تقدم

---

109 البخاري، حديث: 6622، ومسلم، حديث: 1652.

110 شرح النووي على صحيح مسلم.



قبل وقتها كصوم رمضان، واستثنى بعض أصحابه حنث المعصية كأن حلف لا يزني لما في التقديم من الإعانة على المعصية والجمهور على الإجزاء لأن اليمين لا يحرم ولا يحلل، ومنع أبو حنيفة وأصحابه وأشهب من المالكية التقديم. لنا قوله فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير.

فإن قيل: الواو لا تدل على الترتيب. أجيب: برواية أبي داود والنسائي فكفر عن يمينك ثم ائت الذي هو خير. فإن قلت: ما مناسبة هذه الجملة للسابقة؟ أجيب: بأن الممتنع من الإمارة قد يؤدي به الحال إلى الحلف على عدم القبول مع كون المصلحة في ولايته.

والحديث أخرجه البخاري أيضًا في الأحكام وفي الكفارات، ومسلم في الأيمان، وأبو داود في الخراج، والترمذي في الأيمان، وأخرج النسائي قصة الإمارة في القضاء والسير وقصة اليمين في الأيمان.[111]

111 شرح القسطلاني على البخاري.

كلكم راع فمسئول عن رعيته

51 – (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: كلكم راع فمسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.)[112]

يقول الله تعالى: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر} [آل عمران: 159] دستور إلهي للراعي مع الرعية، أساسه رفقه بهم، وعفوه عن مسيئهم، وإحسانه لمحسنهم، والسهر على رعاية مصالحهم.

إن الحكم مسئولية، صغر أو كبر، وكل من له ولاية على غيره له حكم عليه، ولو كانت الولاية على واحد، فكلكم راع، وكل راع مسئول عن رعيته، فالحاكم الأعلى راع، وهو مسئول عن رعيته، مسئول في الدنيا من الرعية، تحاسبه بالمعروف، ويذكره العلماء بحقوق شعبه، وينصحونه بالرفق، والدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله، ولخاصة المؤمنين وعامتهم، ومسئول في الآخرة عند ربه، وإن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، فإن كان قد أطاع الله في رعيته، وحكم فيهم بعدل الله، كرمه ربه أمام الخلائق، وأجلسه على منبر من نور على يمين الرحمن، وأظله الله في الموقف العظيم في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

112 البخاري، حديث: 2554، ومسلم، حديث: 1829.

والرجل في بيته راع وهو مسئول دنيا وأخـــرى عن زوجـــه وأولاده وأحفـــاده والأقربين، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن حقوق زوجهـــا وأولادهـــا، والخادم في بيت سيده راع ومسئول عن حقوق سيده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

وقد شاءت حكمة الله تعالى أن تمنح بعض الجزاء عن الخير في الدنيا للمحسن، وما عند الله خير وأبقى، وأن تصيب العاصي المسيء بعض البلايا في الدنيا، وعـــــذاب الآخرة أشد وأبقى، والجزاء من جنس العمل، فمن يسر على مسلم يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن أعان مسلما أعانه الله في الدنيا والآخرة، ومن ســـتر مســـلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فـــرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ولي من أمر الأمة شيئا فرفق بهم رفق الله بـــه في الدنيا والآخرة، وفي المقابل من شاق على رعيته شاق الله عليه، ومن عسر أمور رعيته عسر الله أموره، وما من عبد يسترعيه الله رعية، فيهملها [كما يهمـــل راعي الغنم غنمه، لا يوردها طعامها وشرابها وصالحها] ويظلمها ويســـتولى على أموالها ومواردها ويستغلها لمصالحه، ولا يقيم حدود الله فيها، ولا يجتهد جهـــده في إدارة شئوها إلا جاء يوم القيامة، يريد دخول الجنة معها، فيمنع من دخولها بل يمنع عنها من بعيد حتى لا يجد ريحها الطيب ونسيمها العليل.

إن واجب الأمر بالمعروف في الدنيا على عامة الناس وخاصتهم، لكن واجب النصح للحكام على العلماء، فصلاح الحكام بصلاح العلماء، وإذا فسد العلمـــاء فســـد الحكام. ولقد كان الحكام في الصدر الأول يخافون العلماء ونقـــدهم، ويتـــأثرون بتوجيهاهم، وكان العلماء يخشون ربهم، ويؤدون واجب النصيحة للحكـــام، وإن



تعرضوا لبطشهم، وما أكثر من وقع منهم ضحية هذا الواجب، فسطر لهم التاريخ مواقفهم المجيدة بحروف من نور.[113]*



113 فتح المنعم شرح صحيح مسلم.

* هذا مع مراعاة مخالفة منهج الخوارج في التعرض لولاة الأمر والخروج عليهم بالسيف، بـــل يجب اتبـــاع منهج السلف الصالح في النصح لهم والدعاء لهم بالصلاح والهداية، ولاينزع يد من طاعة، والطاعة كما هو معلـــــوم في المعروف وليس في المعصية فإنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فضل الشهادة في سبيل الله

52 – (حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: انتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه، بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل.)[114]

(انْتَدَبَ) أي: أجاب لَمَّا نُدِبَ، أي: طلب منه. "الله –عَزَّ وَجَلَّ–" **(في سبيله)** أي: سبيلِ الله، قيل: أو سبيل مَن خَرَجَ. (إلَّا إيمانٌ بي وتصديق)، إذ لا بدَّ من الإيمان بالله، والتصديق برسلِه.

(أن أُرجعَهُ) بفتح الهمزةِ أي: بأن، وأُرجعَه مِن الرجعِ، لا من الرجوعِ. **(نال)** أي: أصاب وجاء بلفظِ الماضي، لتحقق وعدِ الله تعالى. **(مِنْ أجر)** أي: فقط إنْ لم يغنموا. (أو غنيمة) أي: إنْ غنموُا، لا ينافي ذلك اجتماعَ الأمرين بجعلِ القضية مانعة خلو.

(أو أدخله الجنة) عُطف على أُرجعه أي: إنَّ المجاهدَ ينال خيرًا بكل حالٍ، لأنَّه إمَّا أنْ يرجعَ سالمًا بأجرٍ، أو بغنيمةٍ، أو بهما، أو يستشهدَ فيدخل الجنة، والمعنى في وعده بدخول الشهيد لها مع أن كل مِن المؤمنين يدخلها: إنَّ دخولَهُ إمَّا عند موته، كما قال تعالى: **{أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}** [آل عمران: 169]، أو أنَّ المراد: دخولهم مع السابقين والمقرَّبين بلا حساب، ولا مؤاخذةٍ بذنوبٍ، بل تكفرها الشهادةُ.

114 البخاري، حديث: 36، ومسلم، حديث: 1876.

(ولولا) هي الامتناعية أي: امتنع عدم القعود لوجودِ المشقةِ، وسببُ المشقةِ؛ صعوبةُ تخلفهم بعْدَهم، ولا قدرةَ لهم على المسيرِ معه؛ لضيق حالهم. **(خَلْفَ سَرِيَّةٍ)** بالنصبِ على الظرفيةِ أي: ما قعدت بعد سرية: وهي القطعة من الجيش أي: لا أتخلَّفُ عنها، بلْ أخرجُ معها بنفسي؛ لعظم أجرها. **(ولوددتُ)** أي: أحببت. **(أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ... إلخ)** بضم الهمزة في كل ما ذكر من **(أقتل وأحيا)** في نسخةٍ: "أن أقتل" وفي أخرى: "فاقتل" وختم بالقتل مع أن القرار الحياة؛ لأن المراد: الشهادة، فختم بالحال عليها؛ أو لأن الإحياء للجزاء معلوم، فلا حاجة إلى ودادته، و **(ثم)**: للتراخي في الرتبة أحسن من جعلها على تراخي الزمان؛ لأن المتمني حصول مرتبة بعد مرتبة إلى الانتهاء إلى الفردوس الأعلى.

وفي الحديث -كما قال النوويُّ-: فضل الجهاد والشهادة، والحث على حسن النية، وشدة شفقته ﷺ على أمته، واستحباب طلب القتل في سبيل الله، وجواز قول الإنسان في الخير: لوددتُ، وتقديم أهم المصلحتين وأن الجهاد فرض كفاية، وتمنِّي الشهادة، وتمنِّي ما لم يمكن في العادة من الخيرات، والسعي في إزالة المكروه، والشفقة على المسلمين.[115]

---

115 منحة الباري بشرح صحيح البخاري.



53 – (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: إنَّ الله تَعَالَى قَالَ: مَنْ عادى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّب إِلَيَّ عَبْدي بشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أحِبَّهُ، فَإِذَا أَحبَبْتُهُ كُنْتُ سَمعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَني أعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ)[116]

المجاهدة تعني مجاهدة الإنسان نفسه ومجاهدة غيره، فأما مجاهدة الإنسان نفسه فإنها من أشق الأشياء، ولا تتم مجاهدة الغير إلا بمجاهدة النفس أولاً، ومجاهـــدة النفس تكون بأن يجاهد الإنسان نفسه على شيئين، على فعـــل الطاعـــات، وعلى تـــرك المعاصي؛ لأن فعل الطاعات ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه، وترك المعاصي كذلك ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه، فتحتاج النفس إلى مجاهدة لا سيما مع قلة الرغبة في الخير، فإن الإنسان يعاني من نفسه معاناةً شديدة؛ ليحملهـــا على فعل الخير.

ومن أهم ما يكون من هذا مجاهدة النفس على الإخلاص لله ـــ عز وجل ــــ في العبادة؛ فإن الإخلاص، أمره عظيم وشاق جداً، حتى إن بعض السلف يقول: (ما جاهدت نفسي على شيءٍ مجاهدتها على الإخلاص ولهذا كان جزاء المخلصـــين أن من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه حرمه الله على النار.

116 البخاري، حديث: 6502.

لكن متى يكون هذا الأمر؟ إن هذا الأمر شديد جداً، فالمجاهدة على الإخلاص لله من أشق ما يكون على النفوس؛ لأن النفوس لها حظوظ؛ ولأن الإنسان يحب أن يكون مرموقاً عند الناس، ويحب أن يكون محترماً بين الناس، ويحب أن يقال: إن هذا رجل عابد، هذا رجل فيه كذا وكذا من خصال الخير، فيدخل الشيطان على الإنسان من هذا الباب، ويحمله على مراءاة الناس. وقد قال النبي ﷺ **(من سمّع سمّع الله به، ومن راءَى راءى الله به)** . يعني أظهر أمره للناس حتى ينكشف والعياذ بالله.

كذلك أيضاً مما يجاهد الإنسان نفسه عليه: فعل الطاعات الشاقة مثل الصوم، فإن الصوم من أشق الطاعات على النفوس؛ لأن فيه ترك المألوف من طعام وشراب ونكاح، فتجده يكون شاقاً على الناس إلا من يسره الله عليه وخفف عنه. تجد بعض الناس مثلاً إذا دخل رمضان كأنما وضع على ظهره جبل ــ والعياذ بالله ــ لأنه يستثقل الصوم ويرى أنه شاق، حتى إن بعضهم يجعل حظ يومه النوم، وحظ ليله السهر في أمر لا خير له فيه؛ كل ذلك من أجل مشقة هذه العبادة عليه.

كذلك أيضاً من الأشياء التي تحتاج إلى مجاهدة، مجاهدة الإنسان نفسه على الصلاة مع الجماعة؛ كثير من الناس يسهل عليه أن يصلي في بيته، لكن يشق عليه أن يصلي مع الجماعة في المسجد، فتجده مع نفسه في جهاد، يقول: أصبر، أؤدي هذا الشغل، أو أفعل كذا، أو أفعل كذا، حتى.. سوف.. فتفوته صلاة الجماعة، وثقل صلاة الجماعة على الإنسان يدل على أن في قلب الإنسان نفاقاً، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: (أثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، لو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً) وهذا يحتاج إلى المجاهدة.

أما مجاهدة النفس علي ترك المحرم؛ فما أكثر المحرمات التي يشق علي بعض الناس تركها، فتجد البعض يعتاد على فعل المحرم ويشق عليه تركه، ولنضرب لهذا مثلين.



أما مجاهدة الغير فإنها تنقسم إلى قسمين: قسم بالعلم والبيان، وقسم بالسلاح.

أما من مجاهدته بالعلم والبيان فهو الذي يتسمى بالإسلام وليس من المسلمين؛ مثل المنافقين وأهل البدع المكفرة وما أشبه ذلك، فإن هـــؤلاء لا يمكن أن نجاهـــدهم بالسلاح؛ لأنهم يتظاهرون بالإسلام وأنهم معنا، ولكننا نجاهدهم بالعلم والبيان، قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) (التوبة: ٧٣) ، فجاهد الكفار يكون بالسلاح، وجهاد المنافقين يكون بالعلم والبيان.[117]



117 شرح العثيمين على رياض الصالحين.

54 – (عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)[118]

هذا الحديث حديث عظيم فيه بيان درجات تغيير المنكر، وأن الناس فيه ليسوا على حد سواء؛ لأنهم متفاوتون، وأن أعلى درجة للتغيير هي: التغيير باليد لمن قدر على ذلك، فمن لم يستطع فلابد من التغيير باللسان، فمن لم يستطع فلا بد من التغيير بالقلب، وليس هناك شيء أقل من هذا، بل ذلك أضعف الإيمان، كما قال ذلك رسول الله ﷺ.

ومن المعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شأنه عظيم، وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث عديدة تدل على عظم شأنه، وأمة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام كانت خير أمة أخرجت للناس؛ وذلك لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما قال الله عز وجل: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [آل عمران:110] ثم إن من لُعن من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم إنما كان بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شأنه عظيم في الإسلام؛ وذلك لأن فيه الدلالة على الخير، والتحذير من الشر، وإزالة المنكرات الواقعة، وهذا الحديث بين فيه النبي

118 مسلم، حديث: 49.

الكريم ﷺ درجات تغيير المنكر، فقال عليه الصلاة والسلام: **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده)**.

والمنكر: هو المحرم الواضح البين الذي قد علم تحريمه فإن تغييره مطلوب، فمن قدر على تغييره باليد تعّين عليه ذلك، وهذا يكون للسلطان ونواب السلطان في الولايات العامة، ويكون لصاحب البيت في بيته في الولاية الخاصة؛ لأن هؤلاء هم الذين يقدرون على تغيير المنكر بأيديهم، ومن لم يكن من أهل التغيير باليد، وكان من أهل التغيير باللسان بمعنى أنه يتكلم ويبين ويوضح، وينهى عن المنكر ويحذر منه، ويخوف منه، فإن عليه أن يقوم بهذا الواجب، مادام أنه ليس من أهل التغيير باليد، وعنده قدرة على أن يغير بلسانه، بأن يأمر وينهى ويبين، ويوضح ويحذر ويخوف، فإنه يفعل، وإذا لم يقدر على ذلك أيضاً فإن أقل شيء يفعله هو أن يغير بقلبه.

والتغيير بالقلب هو: الكراهية مع حصول التأثر، كون الإنسان قلبه يتأثر ويتألم لوجود هذا المنكر وذلك بكراهيته وبغضه وبتأثر القلب بسبب ذلك؛ لأنه ما استطاع أكثر من هذا.

قال عليه الصلاة والسلام: **(وذلك أضعف الإيمان)**.

يعني: هذا أقل شيء، وهذا يدل على أن الناس يتفاوتون في الإيمان، ففيهم من هو قوي الإيمان، وفيهم من هو ضعيف الإيمان، وكما أن حصول الإيمان الناس يتفاوتون في كماله، فهم يتفاوتون في ضعفه.

فهم متفاوتون في الكمال، أي: في كمال الإيمان، ومتفاوتون في الضعف، ولهذا قال: **(وذلك أضعف الإيمان)**.



يعني: أن من لم يحصل في قلبه شيء من التأثر والكراهية فمعنى ذلك أنه ليس عنده شيء من الإيمان الذي يحصل به أداء هذا الأمر الذي هو أقل شيء، وليس أقـــل أو أدنى منه.

فقوله: **(من رأى منكم منكراً)** يحتمل أن يكون المراد الرؤية البصرية، بمعنى أنه شاهد المنكر بعينه، فهو يغيره بيده إن كان من أهل اليد، وإلا فيغيره بلسانه إذا لم يستطع تغييره بيده.

ويحتمل أن يكون المراد بذلك ما يشمل الرؤية البصرية والرؤية العلمية، بمعنى أنـــــه يعلم ويتحقق عن طريق صحيح أن هناك منكر، وأن المنكر موجود، فإنه يعمل على تغييره بما علمه من حصوله ووجوده، وعلى هذا فلا يكون التغيير خـــــاص بما رآه الإنسان، بل بما علمه ويتحقق علمه، فإن المطلوب منه أن يغيره مادام تحقق وجوده وعلم بذلك، وإن لم يشاهده ويعاينه، وعلى هذا فيكون المراد بالرؤية ما هـــو أشمل من الرؤية البصرية أي: ما يشمل الرؤية البصرية والرؤية العلمية.[119]

119 شرح الأربعين النووية، عبد المحسن العباد البدر.

آية المنافق

55 – (عن أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: آيةُ المُنافقِ ثلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعدَ أخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ. وفي رواية (عند مسلم): وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أنَّهُ مُسْلِمٌ)[120]

الآية: يعني العلامة، كما قال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾** (الشعراء: 197) ، يعني أو لم يكن لهم علامة على صدق ما جاء به النبي ﷺ، وصحة وشريعته، وأن هذا القرآن حق: **﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾** ويعلمون انه هو الذي بشّر به عيسى عليه الصلاة والسلام، وكذلك قوله تعالى: **﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** (يّس: 41) آية يعني علامة. فعلامة المنافق ثلاث.

والمنافق هو الذي يسرٌ الشر ويظهر الخير. ومن ذلك: أن يسر الكفر ويظهر الإسلام. وأصله مأخوذ من نافقاء اليربوع. اليربوع- الذي نسميه الجربوع- يحفر له جحراً في الأرض ويفتح له باباً ثم يحفر في أقصى الجُحر خرقاً للخروج، لكنه خرق خفي لا يعلم به، بحيث إذا حجره أحد من عند الباب، ضرب هذا الخرق الذي في الأسفل برأسه ثم هرب منه. فالمنافق يظهر الخير ويبطن الشر، يظهر الخير ويبطن الكفر.

وقد برز النفاق في عهد النبي ﷺ بعد غزوة بدر، لما قُتلك صناديد قريش في بدر، وصارت الغلبة للمسلمين، ظهر النفاق، فأظهر هؤلاء المنافقون أهم مسلمون وهم

120 البخاري، حديث: 33، ومسلم، حديث: 59.

كفار، كما قال الله تعالى **(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)** (البقرة: 14) ، وقال الله تعالى **(اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)** (البقرة: 15) ، وقال عنهم أيضاً: **(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ)** يؤكد كلامهم بالشهادة و "بأن" و " اللام" فقال الله تعالى: **(وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)** (المنافقون: 1) .

فشهد شهادة اقوى منها بأهم لطاذبون في قولهم: **(نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ)** في أن محمداً رسول الله، ولهذا استدرك فقال: **(وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)** .

والمنافق له علامات، يعرها الذي أعطاه الله تعالى فراسة ونوراً في قلبه، يعرف المنافق من تتبع أحواله.

وهناك علامات ظاهرة لا تحتاج إلى فراسة؛ منها هذه الثلاث التي بينها النبيﷺ: " إذا حدث كذب" يقول مثلاً: فلأن فعل كذا وكذا، فإذا بحثت وجدته كذب، وهذا الشخص لم يفعل شيئاً، فإذا رأيت الإنسان يكذب؛ فاعمل أن في قلبه شعبة من النفاق.

الثاني: " إذا وعد أخلف" يعدك ولكن يخلف، يقول لك مثلاً: سآتي إليك في الساعة السابعة صباحاً ولكن لا يأتي، أو يقول: سآتي إليك غداً بعد صلاة الظهر ولكن لا يأتي.؟ يقول: أعطيك كذا وكذا، ولا يعطيك، فهو كما قال النبي ﷺ: " إذا وعد أخلف "، والمؤمن إذا وعد وفى، كما قال الله تعالى: **(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ**

إِذَا عَاهَدُوا (البقرة: 177) ، لكن المنافق يعدك ويغرك، فإذا وجدت الرجل يغدر كثيراً بما يعد، ولا يفي، فاعلم أن في قلبه شعبة من النفاق والعياذ بالله.

الثالث: " إذا اؤتمن خان" وهذا الشاهد من هذا الحديث للباب. فالمنافق إذا ائتمنته على مال خانك، وإذا ائتمنته على سر بينك وبينه خانك، وإذا ائتمنته على أهلك خانك، وإذا ائتمنته على بيع أو شراء خانك. كلما ائتمنته على شيء يخونك والعياذ بالله، يدلّ ذلك على أن في قلبه شعبة من النفاق وأخبر النبي ﷺ بهذا الخبر لأمرين:

الأمر الأول: أن نحذر من هذه الصفات الذميمة؛ لأنها من علامات النفاق، ويخشى أن يكون هذا النفاق العملي مؤدياً إلى نفاق في الاعتقاد والعياذ بالله، فيكون الإنسان منافقاً نفاقاً اعتقادياً فيخرج من الإسلام وهو لا يشعر فأخبرنا الرسول ﷺ لنحذر من ذلك.

الأمر الثاني: لنحذر من يتصف بهذه الصفات، ونعلم أنه منافق يخدعنا ويلعب بنا، ويغرنا بحلاوة لفظه وحسن قوله، فلا نثق به ولا نعتمد عليه في شيء؛ لأنه منافق والعياذ بالله، وعكس ذلك يكون من علامات الإيمان. فالمؤمن إذا وعد أوفى. والمؤمن إذا ائتمن أدى الامانة على وجهها، وكذلك إذا حدّث كان صادقاً في حديثه مخبراً بما هو الواقع فعلاً.

ومن الأسف فإن قوماً من السفهاء عندنا إذا وعدته بوعد يقول: " وعد انجليزي ام وعد عربي" يعني أن الإنجليز هم الذين يوفون بالوعد، فهذا بلا شك سفه وغرور بهؤلاء الكفرة، والإنجليز فيهم مسلمون ومؤمنون ولكن جملتهم كفار، ووفاؤهم



بالوعد لا يبتغون به وجه الله، لكن يبتغون به أن يحسنوا صورتهم عند الناس ليغـــتر الناس بهم. والمؤمن في الحقيقة هو الذي يفي تماماً فيمن أوفي بالوعد؛ فهو مؤمن، ومن أخلف الوعد؛ كان فيه من خصال النفاق.

نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النفاق العملي والعقدي، أنه جواد كريمٌ.[121]



121 شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين.

تحريم الظلم والأمر برد المظالم

56 – (عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ.)[122] وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أهْلِهَا يَومَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ.)[123]

هذا الباب يشتمل على أمرين:

الأمر الأول: تحريم الظلم

والأمر الثاني: وجوب ردّ المظالم.

واعلم أن الظلم هو النقص، قال الله تعالى **(كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً)** (الكهف: 33) ، يعني لم تنقص منه شيئاً، والنقص إما أن يكون بالتجرؤ على ما لا يجوز للإنسان، وإما بالتفريط فيما يجب عليه. وحينئذٍ يدور الظلم على هذين الأمرين، إما ترك واجب، وإما فعل محرم والظلم نوعان: ظلم يتعلق بحق الله عز وجلّ، وظلم يتعلق بحق العباد، فاعظم الظلم هو المتعلق بحق الله تعالى والإشراك به، فإن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم؟ فقال: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك ويليه الظلم في الكبائر، ثم الظلم في الصغائر.

122 مسلم، حديث: 2578.

123 مسلم، حديث: 2582.

أما في حقوق عباد الله فالظلم يدور على ثلاثة أشياء، بينها النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع، فقال: " **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**" الظلم في النفس هو الظلم في الدماء، بأن يعتدي الإنسان على غيره، بسفك الدماء أو الجروح أو ما أشبه ذلك، والظلم في الأموال بأن يعتدي الإنسان ويظلم غيره في الأموال، إما بعدم بذل الواجب، وإما بإتيان محرم، وإما بان يمتنع من واجب عليه، وإما بأن يفعل شيئاً محرماً في مال غيره.

وأما الظلم في الأعراض فيشمل الاعتداء على الغير بالزنا، واللواط، والقذف، وما أشبه ذلك.

وكل الظلم بأنواعه محرم، ولن يجد الظالم من ينصره أما الله تعالى قال الله تعالى (**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**) أي أنه يوم القيامة لا يجد الظالم حميماً إي صديقاً ينجيه من عذاب الله، ولا يجد شفيعاً يشفع له فيُطاع؛ لأنه منبوذ بظلمه وغشمه وعدوانه، فالظالم لن يجد من ينصره يوم القيامة، وقال تعالى (**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**) (البقرة: 270) ، يعني لا يجدون انصاراً ينصرونهم ويخرجونهم من عذاب الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم.

ثم ذكر المؤلف -رحمه الله - حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ " قال: "**اتقوا الظلم**" اتقوا: يعني احذروا، والظلم هو كما سبق يكون في حق الله، ويكون في حق العباد، فقوله ﷺ: "**اتقوا الظلم**" أي: لا تظلموا أحداً، لا أنفسكم ولا أنفسكم ولا يغركم، "**فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**" ويوم القيامة ليس هناك نور إلا من أنار الله تعالى له، وأما من لم يجعل الله له نواراً فما له من نور، والإنسان إن كان مسلماً فله نور بقدر إسلامه، ولكن إن كان ظالماً فقد من

هذا النور بمقدار ما حصل من الظلم، لقوله ﷺ: **"اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة"**.

ومن الظلم: مطل الغني يعني أن لا يوفى الإنسان ما عليه وهو غني به لقوله ﷺ: " **مطل الغني ظُلم**" وما أكثر الذين يماطلون في حقوق الناس، يأتي عليه صاحب الحق فيقول: يا فلان أعطني حقي فيقول: غداً، فيأتيه من غدٍ فيقول: بعد غدٍ وهكـــذا، فإن هذا الظلم يكون ظلمات يوم القيامة على صاحبه " **وأتقوا الشحَّ**" الحرص على المال" **فإنــه أهلــك من كــان قبلكم**" لأن الحرص على المال- نسأل الله السلامة- يوجب للإنسان أن يكسب المال من أي وجه كان، من حلال أو حرام؛ بل قـــال النبي ﷺ: " **حملهم**" إي حمل من كان قبلنا" على أن سفكوا دماءهم واســـتحلوا محارمهم" يسفك الشحيح الدماء إذا لم يتوصل إلى طمعه إلا بالدماء، كمـــا هـــو الواقع عند أهل الشحّ، يقطعون الطريق على المسلمين، ويقتلون الرجل، ويأخذون متاعه، ويأخذون بعيره، وكذلك أيضاً يعتدون على الناس في داخل البلاد، يقتلونهم ويهتكون حجب بيوتهم، فيأخذون المال بالقوة والغلبة.

فحذّر النبي ﷺ من أمرين: من الظلم ومن الشحّ. فالظلم هو الاعتداء على الغـــير، والشح هو الطمع فيما عند الغير. فكل ذلك محرم، ولهاذ قال الله تعالى في كتابـــه: **(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** (الحشر: 9) ، فدلت الآية على أن من لم يوق شح نفسه فلا فلاح له. المفلح من وقاه الله شحّ نفسه. نســـأل الله أن يعيذنا وإياكم من الظلم، وأن يقينا شح أنفسنا وشرورها.[124]

124 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

القرآن حجة لك أو عليك

57 – (وعن أبي مالكٍ الحارث بن عاصم الأشعريِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان، والحَمدُ لله تَمْلأُ الميزَانَ، وَسُبْحَانَ الله والحَمدُ لله تَملآن – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدقةُ بُرهَانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والقُرْآنُ حُجةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُها.)[125]

(القرآن حجة لك أو عليك)، فأول ما يرفع من العلم، العلم النافع، وهو العلم الباطن الذي يخالط القلوب ويصلحها، ويبقى علم اللسان حجة، فيتهاون الناس به، ولا يعملون بمقتضاه، لا حملته ولا غيرهم، ثم يذهب هذا العلم بذهاب حملته، فلا يبقى إلا القرآن في المصاحف، وليس ثم من يعلم معانيه، ولا حدوده، ولا أحكامه، ثم يسرى به في آخر الزمان، فلا يبقى في المصاحف ولا في القلوب منه شيء بالكلية، وبعد ذلك تقوم الساعة، كما قال ﷺ: **(لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس)**، وقال: **(لا تقوم الساعة وفي الأرض أحد يقول: الله الله)**.[126]

والقرآن حجة لك أو عليك فمعناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك وأما قوله ﷺ **"كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"** فمعناه كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من

125 مسلم، حديث: 223.

126 جامع العلوم والحكم، لابن رجب,



العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقهـــا أي يهلكهـــا والله أعلم.[127]



127 شرح النووي على مسلم.

خصلة الإستعفاف والتصبر

58 – (عن أبي سَعيدالخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَألوا رسولَ الله ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَألوهُ فَأعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِندَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أنْفَقَ كُلَّ شَيءٍ بيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ.)[128]

كان من خلق الرسول الكريم ﷺ أنه لا يسأل شيئاً يجده إلا أعطاه، وما عهد عنه أنه ﷺ منع سائلاً، بل كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويعيش في بيته عيش الفقراء، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع فهو عليه الصلاة والسلام أكرم الناس واشجع الناس.

فلما نفد ما في يده أخبرهم أنه ما من خير يكون عنده فلن يدخره عنهم؛ أي: لا يمكن أن يدخر شيئا عنهم فيمنعهم، ولكن ليس عنده شيء.

ثم حث النبي صلي الله عليه وسلم على الاستعفاف والاستغناء والصبر، فقال: **(ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن الله، ومن يتصبر يصبره الله– عز وجل)**.

هذه ثلاثة أمور: **أولا**: من يستغن يغنه الله، أي: من يستغن بما عند الله عما في أيدي الناس؛ يغنه الله عز وجل. وأما من يسأل الناس ويحتاج لما عندهم؛ فإنه سيبقي قلبه فقيراً – والعياذ بالله– ولا يستغني.

128 البخاري، حديث: 1469، ومسلم، حديث: 1053.

والغني غني القلب، فإذا استغني الإنسان بما عند الله عما في أيدي الناس؛ أغنـــاه الله عن الناس، وجعله عزيز النفس بعيداً عن السؤال.

ثانياً: من يستعفف يعفه الله، فمن يستعف عما حرم الله عليه من النساء يعفه الله عز وجل. والإنسان الذي يتبع نفسه هواها فيما يتعلق بالعفة فإنه يهلك والعياذ بالله؛ لأنه إذا أتبع نفسه هواها وصار يتتبع النساء؛ فإنه يهلك، تزني العين، تـــزني الأذن، تزني اليد، تزني الرجلن ثم يزني الفرج؛ وهو الفاحشة والعياذ بالله.

فإذا استعف الإنسان عن هذا المحرم أعفه الله- عز وجل- وحماه وحمي أهله أيضاً.

ثالثاً: من يتصبر يصبره الله، أي يعطيه الله الصبر.

فإذا تصبرت، وحسبت نفسك عما حرم الله عليم، وصبرت على مـــا عنـــدك من الحاجة والفقر و لم تلح على الناس بالسؤال فإن الله- تعالي- يصبرك ويعينـــك على الصبر. وهذا هو الشاهد من الحديث؛ لأنه في باب الصبر.

ثم قال النبي ﷺ **(وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر)** أي: ما من الله على أحد بعطاء من رزق، أو غيره؛ خيراً واوسع من الصبر؛ لأم الإنسان إذا كـــان صبوراً تحمل على كل شيء. إن أصابته الضراء صبر، وإن أعرض له الشيطان بفعل المحرم صبر، وإن خذله الشيطان عن ما أمر الله صبر فإذا كان الإنسان قـــد من الله عليه بالصبر؛ فهذا خير ما يعطاه الإنسان، وأوسع ما يعطاه، ولذلك تجد الإنســـان الصبور لو أوذي من قبل الناس، لو سمع منهم ما يكره، لو حصل منهم اعتداء عليه، تجده هادي البال، لا يتصلب، ولا يغضب، لأنه صابر على ما ابتلاه الله به؛ فلذلك تجد قلبه دائماً مطمئناً ونفسه مستريحة. ولهذا قال الرسول ﷺ **(مـــا أعطي أحـــد عطاء خيرا واوسع من الصبر)** والله الموفق.[129]

129 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

أمر المؤمن كله خير

59 – (وعن أبي يحي صهيب بن سنانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: عَجَبًا لأمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ، ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلاّ للمُؤْمن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيرًا لَهُ، وإنْ أصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا لَهُ)[130]

أي: إن الرسول عليه الصلاة والسلام أظهر العجب على وجه الاستحسان **(لأمر المؤمن)** أي: لشأنه. فإن شأنه كله خير، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ثم فصل الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الأمر الخير، فقال: **(إن أصابته سراء شكر فكان خير له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له)** هذه حال المؤمن. وكل إنسان؛ فإنه في قضاء الله وقدره بين أمرين:

مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له، إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله؛ فكان ذلك خيراً له، فنال بهذا أجر الصائمين.

وإن اصابته سراء من نعمة دينية؛ كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية؛ كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله – عز وجل. فيشكر الله فيكون خيرا له، ويكون عليه نعمتان: نعمة الدين، ونعمة الدنيا. نعمة الدنيا بالسراء، ونعمة الدين بالشكر، هذه حال المؤمن، فهو علي خير، سواء أصيب بضراء.

130 مسلم، حديث: 2999.

وأما الكافر فهو على شر- والعياذ بالله- إن اصابته الضراء لم يصبرن بل يتضـــجر، ودعا بالويل والثبور، وسب الدهر، وسب الزمن، بل وسب الله- عز وجل- ونعوذ بالله.

وإن اصابته سراء لم يشكر الله، فكانت هذه السراء عقاباً عليـــه في الآخـــرة، لأن الكافر لا يأكله أكلة، ولا يشرب إلا كان عليه فيها إثم وإن كـــان ليس فيهـــا إثم بالنسبة للمؤمن، لكن على الكافر إثم، كما قال الله تعالي: **(قُـلْ مَنْ حَـرَّمَ زِينَـةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ)** (لأعراف: من الآية32) ، هي للذين آمنوا خاصة، وهي خالصة لهم يوم القيامة، أما الذين لا يؤمنون فليست لهم، ويأكلونها حراماً عليهم، ويعـــاقبون عليها يوم القيامة.

فالكافر شر، سواء أصابته الضراء أم السراء، بخلاف المؤمن فإنه على خير.

وفي هذا الحديث: الحث على الإيمان النبي ﷺ وأن المؤمن دائماً في خير ونعمة.

وفيه أيضاً: الحث على الصبر على الضراء، وأن ذلك من خصال المؤمـــنين. فـــإذا رأيت نفسك عند إصابة الضراء صابراً محتسباً، تنتظر الفـــرج من الله- ســـبحانه وتعالي- وتحتسب الأجر على الله؛ فـــذلك عنـــوان الإيمان، وإن رأيت العكس فلم نفسك، وعدل مسيرك، وتب إلي الله.

وفي الحديث أيضاً: الحث على الشكر عند السراء، لأنه إذا شكر الإنسان ربه على نعمة فهذا من توفيق الله له، وهو من أسباب زيادة النعم، كما قال الله تعالي:**(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)** (ابراهيم: 7) وإذا



وفق الله الإنسان للشكر؛ فهذه نعمة تحتاج إلي شكرها مرة ثالثة...وهكـــــــذا، لأن الشكر قل من يقوم به، فإذا من الله عليك وأعانك عليه فهذه نعمة.[131]



131 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

المصائب تكفر الخطايا

60 – (عن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ ﵄، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا إلَاّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خطَايَاهُ.)[132]

هذان الحديثان: حديث أبي سعيد وأبي هريرة وابن مسعود – رضي الله عنهم- فيهما دليل علي أن الإنسان يكفر عنه بما يصيبه من الهم والنصب والغم وغير ذلك، وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالي، يبتلي سبحانه وتعالي عبده بالمصائب وتكون تكفيراً لسيئاته وحطا لذنوبه.

والإنسان في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقي مسروراً دائماً، بل هو يوماً يسر ويوماً يحزن، ويوماً يأتيه شيء ويوماً لا يأتيه، فهو مصاب بمصائب في نفسه ومصائب في بدنه. ومصائب في مجتمعه ومصائب في أهله، ولا تحصي المصائب التي تصيب الإنسان، ولكن المؤمن أمره كله خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خير له.

فإذا أصبت بالمصيبة فلا تظن أن هذا الهم الذي يأتيك أو هذا الألم الذي يأتيك ولو كان شوكة، لا تظن أنه يذهب سدي، بل ستعوض عنه خيراً منه، ستحط عنك الذنوب كما تحط الشجرة ورقها، وهذا من نعمة الله.

وإذا زاد الإنسان على ذلك الصبر والاحتساب، يعني: احتساب الأجر، كان له مع هذا أجر.

132 البخاري، حديث: 5642، ومسلم، حديث: 2573.



فالمصائب تكون على وجهين:

تارة إذا أصيب الإنسان تذكر الأجر واحتسب هذه المصيبة على الله، فيكون فيها فائدتان: تكفير الذنوب؛ وزيادة الحسنات. وتارة يغفل عن هذا فيضيق صدره، ويصيبه ضجر أو ما أشبه ذلك، ويغفل عن نية احتساب الأجر والثواب على الله، فيكون في ذلك تكفير لسيئاته، إذا هو رابح على كل حال في هذه المصائب التي تأتيه.

فإما أن يربح تكفير السيئات وحط الذنوب بدون أن يحصل له أجر؛ لأنه لم ينو شيئا و لم يصبر و لم يحتسب الأجر. وإما أن يربح شيئين: تكفير السيئات، وحصول الثواب من الله عز وجل كما تقدم. ولهذا ينبغي للإنسان إذا اصيب ولو بشوكة، فليتذكر احتساب الأجر من الله على هذه المصيبة، حتى يؤجر عليها، مع تكفيرها للذنوب. وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالي وجوده وكرمه، حيث يبتلي المؤمن ثم يثيبه على هذه البلوى أو يكفر عنه سيئاته. فالحمد لله رب العالمين.[133]

133 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين

تحري الصدق

61 – (عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا.)[134]

قال العلماء معناه أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم والبر اسم جامع للخير كله وقيل البر الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة وأما الكذب فيوصل إلى الفجور وهوالميل عن الاستقامة وقيل الانبعاث في المعاصي قوله ﷺ **(وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا)** وفي رواية ليتحرى الصدق وليتحرى الكذب وفي رواية عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإياكم والكذب قال العلماء هذا فيه حث على تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وكتبه الله لمبالغته صديقا إن اعتاده أو كذابا إن اعتاده ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم أو صفة الكذابين وعقابهم والمراد إظهار ذلك للمخلوقين إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلى وإما بأن يلقي ذلك في قلوب الناس

134 البخاري، حديث: 6094، ومسلم، حديث: 2607.



وألسنتهم كما يوضع له القبول والبغضاء وإلا فقدر الله تعالى وكتابه السابق قـــــد سبق بكل ذلك والله أعلم.[135]



135 شرح النووي على مسلم.

الصدق في طلب الشهادة

62 – (عن سهل ابن حُنَيْفٍ وَهُوَ بدريٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيّ ﷺ قَالَ: مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)[136]

[هذا الحديث] في فضل الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وأن لهم الجنة كما قال الله سبحانه وتعالى: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن وذكر المؤلف أحاديث كثيرة تدل على صدق الصحابة رضي الله عنهم وصدق إيمانهم يخبرهم النبي ﷺ بما للشهداء فيدعون ما بأيديهم من الطعام ويتركونه ويتقدمون إلى الجهاد في سبيل الله ثم يقتلون فيلقون الله عز وجل راضين عنه وهو راض عنهم جل وعلا وهذا لا شك من فضائل الصحابة رضي الله عنهم التي لا يلحقهم بعدهم أحد فيها.

هذا عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه لما قال النبي ﷺ يوم بدر: من قاتلهم محتسبا مقبلا غير مدبر وجبت له جنة عرضها كعرض السماء والأرض قال: يا رسول الله جنة عرضها كعرض السماء والأرض قال: نعم فأخرج تمرات من قرنه الذي يوضع فيه الطعام عادة ويأخذه المجاهد ثم جعل يأكل ثم استطال الحياة رضي الله عنه وقال: والله لأن بقيت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة ثم تقدم فقاتل وقتل رضي الله عنه وقد شهد له النبي ﷺ بالجنة.

136 مسلم، حديث: 1909.

وكذلك أنس بن المضر رضي الله عنه لقي سعد بن معاذ في غزوة أحد وأخبره بأنه يجد ريح الجنة دون أحد قال ابن القيم: فهذه من الكرامات التي يكـــرم بها الله من يشاء من عباده أن يجد ريح الجنة وهو في الأرض والجنة في السماء لكن من أجل أن الله يثبت يقينه حتى يتيقنها وكأنها أمر محسوس عنده فقاتل حتى قتل لأنه رضي الله عنه تأخر عن غزوة بدر وسبب ذلك أن كثيرا من الصحابة لم يخرجوا في بدر لأنهم إنما خرجوا من أجل عير أبي سفيان التي جاء بها من الشام يريد بها مكة و لم يخرجوا لقتال ولكن الله جمع بينهم وبين عدوهم من غير معاد فتخلف رضي الله عنه لأنهم لم يؤمروا بالخروج إلى الغزو وإنما قال الرسول ﷺ: من شاء أن يخرج معنا فليخرج فخرج من خرج وتخلف من تخلف لكنه قال رضي الله عنه: حين تخلف عن هـــذه الغزوة غزوة بدر لإن أشهدني الله مشهد يعني غزوا في سبيل الله ليرين الله مني مـــا أصنع ثم تقدم وجاهد وجالد وقاتل حتى قتل ووجدوا به بضـــعا وثمانين أو بضـــعا وتسعين ضربة في جسد واحد مما يدل على أنه قد غامر وخاض صفوف المشركين لم تعرفه إلا أخته ببنانه وقال: رضي الله عنه وهو يجاهد: اللهم إني أعتذر إليـــك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه الذين انكشفوا في غزوة أحد وأبرأ إليك مما صنع هـــؤلاء يعني المشركين.

فهذه القصص وأمثالها تدل دلالة واضحة على أن الله اختار لنبيه ﷺ أفضل الخلق وأنه مصداق قوله ﷺ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...

نسأل الله أن يبلغنا وإياكم منازل الشهداء وأن يجمع بيننا وبينهم في جنات النعيم.[137]

137 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

63 – (عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتعمَلُونَ أعْمَالًا هي أدَقُّ في أعيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُول الله ﷺ مِنَ المُوبِقاتِ.)[138]

إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالا هِىَ أَدَقُّ فِى أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رسُول اللَّه ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ. قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: يَعْنِى الْمُهْلِكَاتِ. قال المؤلف: إنما كانوا يعدون الصغائر من الموبقات لشدة خشيتهم لله، وإن لم تكن لهم كبائر، ألا ترى أن إبراهيم ﷺ إذا سئل الشفاعة يوم القيامة يذكر ذنبه، وأنه كذب ثلاث كذبات، وهى قوله فى زوجته: هذه أختى. وهى أخته فى الدين، وقوله: إنى سقيم. أى: سأسقم، وقوله: فعله كبيرهم هذا. يعنى الصنم، فرأى ذلك ﷺ من الذنوب، وإن كان لقوله وجه صحيح، فلم يقنع من نفسه إلا بظاهر يطابق الباطن، وهذا غاية الخوف. والمحقرات إذا كثرت صارت كبائر بالإصرار عليها والتمادى فيها، وقد روى ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أسلم أبى عمران أنه سمع أبا أيوب يقول: إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها ويغشى المحقرات، فيلقى الله يوم القيامة وقد أحاطت به خطيئته، وإن الرجل ليعمل السيئة، فما يزال منها مشفقًا حذرًا حتى يلقى الله يوم القيامة آمنًا. وذكر أسد بن موسى عن ابن مسعود قال: إياكم ومحقرات الذنوب، فإنها تجتمع حتى تهلك صاحبها، وإن رسول الله ﷺ قد ضرب لنا مثلاً كمثل ركب نزلوا بأرض فلاة، فلم يجدوا فيها حطبًا، فانطلق كل واحدٍ منهم، فجاء بعود حتى اجتمعت أعواد فأوقدوا نارًا أنضجت ما

138 البخاري، حديث: 6492.



جعل فيها) ورواه سهل بن سعد عن النبى ﷺ وقال أبو عبد الرحمن الحبلى: مثـــل الذى يجتنب الكبائر ويقع فى المحقرات، كرجل لقاه سبع فاتقاه حتى نجا منــــه، ثم لقيه فحل إبل فاتقاه فنجا منه، فلدغته نملة فأوجعته، ثم أخرى، ثم أخـــرى حـــتى اجتمعن عليه فصرعنه، وكذلك الذى يجتنب الكبائر ويقع فى المحقرات. وقال أبو بكر الصديق: إن الله يغفر الكبائر فلا تيئسوا، ويعذب على الصغائر فلا تغتروا.[139]



139 شرح صحيح البخاري، لابن بطال.

64 – (عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبيّ ﷺ قَالَ: إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرةٌ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرَ كيف تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فإنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسرائيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ.)[140]

في هذا الحديث: التحذير من فتنة الدنيا، وفتنة النساء.

قوله ﷺ: **(الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ)**: قيل: المعنى: شبه الدنيا في طلب كثير من الناس لها ومسارعتهم إليها وإيثارهم إياها على الآخرة بالفاكهة الحلوة الخضرة التي يطلبها الإنسان. وقيل: معناه: تشبيهها بالشيء الأخضر الذي له نضرة، ثم يزول سريعًا وييبس، كما قال الله تعالى: **{إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح}**.

وقوله: **(وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا)**، يعني: جعلكم تخلفون قومًا سبقوكم.

وقوله: **(فينظر كيف تعملون)**، يعني: ينظر فيظهر عملكم، وإلا فهو سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء، والمعنى: فينظر نظر ظهور للعمل، فيظهر عمل الصالحات من المؤمنين، وعمل السوء من الكفار والعصاة.

وقوله: **(فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ)**: أي: اجعلوا بينكم وبين فتنة الدنيا والنساء وقاية، واحذروا أن تغتروا بهما، فتجمعوا المال بالحلال والحرام، واحذروا الدنيا أن

140 مسلم، حديث: 2742.



تلهيكم عنْ الآخرة، واحذروا النساء وفتنتهن، لا تتعرضوا لهن وابتعدوا عن أسباب الفتنة بهن.[141]



141 توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.

نعمة الصحة والفراغ

65 – (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَـالَ: قَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: نِعْمَتَـانِ مَغْبُـونٌ فِيهِمَـا كَثِـيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ.)[142]

قال بعض العلماء: إنما أراد ﷺ بقوله: **(الصـحة والفـراغ نعمتـان)** ، تنبيه أمته على مقدار عظيم نعمة الله على عباده فى الصحة والكفاية؛ لأن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكيفًا مؤنة العيش فى الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يغبنهما، ومما يستعان به على دفع الغبن أن يعلم العبد أن الله تعالى خلق الخلق من غير ضـــــرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غـــير اســـتحقاق منهم لها، فمنّ عليهم بصـــحة الأجسام وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم وضاعف لهم الحسنات و لم يضـــاعف عليهم السيئات وأمرهم أن يعبدوه ويعتبروا بما ابتـــدأهم بـــه من النعم الظـــاهرة والباطنة، ويشكروه عليها بأحرفٍ يسيرة، وجعل مدة طاعتهم فى الدنيا منقضـــــية بانقضاء أعمارهم، وجعل جزاءهم على ذلك خلودًا دائمًا فى جنات لا انقضاء لها مع ما ذخر لمن أطاعه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشـــر، فمن أنعم النظر فى هذا كان حريًا ألا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه إلا وينفقه فى طاعة ربه، ويشكره على عظيم مواهبه والاعتراف بالتقصير عن بلوغ كنه تأدية ذلك، فمن لم يكن هكذا وغفل وسها عن التزام ما ذكرنا، ومرت أيامه عنـــــه فى

142 البخاري، حديث: 6412.



سهو ولهو وعجز عن القيام بما لزمه لربه تعالى فقد غبن أيامه، وسوف ينـــدم حيث لا ينفعه الندم.[143]



143 شرح البخاري لابن بطال.

قاربوا وسددوا

66 – (عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: [لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا.] وفي لفظ مسلم: [قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بعَمَلِهِ قالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: وَلَا أنَا إلاّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ برَحمَةٍ مِنهُ وَفَضْلٍ.])[144]

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ ! قال: **(ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة)**.

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله)** قالوا: يا رسول الله، ولا أنت؟ ! قال: **(ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)**.

وحدثنا ابن نمير، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ، مثله، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير عن الأعمش بالإسنادين جميعا، كرواية ابن نمير، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو كريب قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، بمثله، وزاد: **(وأبشروا)**

قوله: **(سددوا وقاربوا)**، أي: افعلوا السداد والصواب، وهو الوسط بين الغلو والتقصير، فإن لم تقدروا على فعل السداد فقاربوه.

144 البخاري، حديث: 6463، ومسلم، حديث: 2816.

وقوله: **(وأبشروا)**، يعني: أبشروا بالخير إذا بذلتم وسعكم في فعل السداد والصواب.

وقوله: **(واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)**، يعني: العمل الدائم، ولو كان قليلا أحسن من العمل الكثير الذي ينقطع، فالإنسان إذا واظب كل ليلة على صلاة ركعتين، أو أربع تطوعا لله تعالى أفضل من أن يصلي اثنتي عشرة ركعة، ثم لا يواظب عليها.

وفي هذا الحديث- برواياته المتعددة وطرقه المختلفة-: دليل على أن العمل ليس عوضا عن الجنة، ولا أن دخول الجنة يكون بالعمل، وإنما دخول الجنة يكون بفضل الله ورحمته، والعمل سبب في ذلك، فمن جاء بالسبب- الذي هو العمل- نالته رحمة الله، ومن لم يأت بالعمل فإن رحمته تعالى لن تناله، قال الله تعالى: **{ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون}**، أي: ليست الرحمة لكل أحد، وإنما هي للمتقين خاصة، والمتقي هو الموحد المؤمن.

والباء في قوله تعالى: **{ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون}**، وقوله تعالى: **{وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون}** باء السببية، وهي التي أثبتت الدخول.

وفي رواية أخرى في غير الصحيحين: (ما من أحد يدخل الجنة بعمل): قلنا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **(لا، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله عز وجل برحمة منه- ووضع يده على رأسه)**، وعليه فالباء في قوله: **(بعمل)**: للعوض، وهي التي نفت الدخول، والمعنى: أنه لن يدخل أحد الجنة عوضا عن عمله وقد غلط في هذا الأشاعرة والمعتزلة؛ فالمعتزلة عكسوا، وقالوا: إن الباء التي في الإثبات- كالتي في قوله تعالى: **{ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون}** - فهي للعوض، قالوا: وعليه فإن العمل عوض عن الجنة، والعامل يستحق الثواب على الله تعالى، كما يستحق الأجير أجرته.

وهذا من جهلهم؛ فقد سبق أن هناك فرقا بين الباء التي سبقها نفي، وبين الباء التي وقعت في سياق الإثبات.

قال النووي رحمه الله- في رده على المعتزلة-: (اعلم أن مذهب أهل السنة: أنه لايثبت بالعقل ثواب ولاعقاب، ولا أيجاب ولاتحريم، ولاغيرها من أنواع التكاليف، ولاتثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع، ومذهب أهل السنة- أيضا-: أن الله تعالى لا يجب عليه شيء- تعالى الله عن ذلك-، بل العالم ملكه، والدنيا والآخرة في سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين، وأدخلهم النار كان عدلا منه، وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر- وخبره صدق- أنه لا يفعل هذا، بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته، ويعذب المنافقين ويخلدهم فى النار عدلا منه، وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل، ويوجبون ثواب الأعمال، ويوجبون الأصلح، ويمنعون خلاف هذا في خبط طويل لهم- تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع.

قلت: هذا الكلام من المعتزلة والأشاعرة منابذ للشرع.

وقال النووي- أيضا- رحمه الله: وفي ظاهر هذه الأحاديث: دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما قوله تعالى: **{ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون}**، **{وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون}** ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات: أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال، والهداية للإخلاص فيها، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الأحاديث. ويصح أنه دخل بالأعمال، أي: بسببها، وهي من الرحمة، والله أعلم)).



قلت: هذا هو الصحيح؛ فليس دخول الجنة بسبب الأعمال، والإمام النووي رحمه الله هنا خالف مذهب الأشاعرة، فكأنه رحمه الله مثل الحافظ ابن حجـــر رحمه الله، أحيانا يميل إليهم وأحيانا أخر يخالفهم، فدخول الجنة إنما هو برحمة الله عز وجل، ثم يقتسم الناس درجات الجنان بأعمالهم.[145]



145 توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، الراجحي.

فتن كقطع الليل المظلم

67 – (عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: بَادِرُوا بِالأَعْمَال فتنًا كقطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤمِنًا ويُصْبحُ كَافِرًا، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا.)[146]

(بادروا بالأعمال) وبادروا: يعني أسرعوا إليها؛ والمراد الأعمال الصالحة؛ والعمل الصالح ما بني على أمرين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ، وهذا تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، فالعمل الذي ليس بخالص ليس بصالح، لو قام الإنسان يصلي؛ ولكنه يرائي الناس بصلاته، فإن عمله لا يقبل؛ حتى لو أتى بشروط الصلاة، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وطمأنينتها، وأصلحها إصلاحاً تاماً في الظاهر، لكنها لا تقبل منه، لأنها خالطها الشرك، والذي يشرك بالله معه غيره لا يقبل الله عمله، كما في الحديث الصحيح؛ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن النبي ﷺ قال: **(قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك)** يعني إذا أحد شاركني؛ فأنا غني عن شركه، **(من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)** .

كذلك أيضاً: لو أن الإنسان أخلص في عمله، لكنه أتى ببدعة ما شرعها الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فإن عمله لا يقبل حتى لو كان مخلصاً، حتى لو كان يبكي من الخشوع، فإنه لا ينفعه ذلك؛ لأن البدعة وصفها النبي ﷺ بأنها ضلالة، فقال: **(فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)** .

146 مسلم، حديث: 118.

ثم قال: **(فتناً كقطع الليل المظلم)** أخبر أنه ستوجد فتن كقطع الليل المظلم ــ نعوذ بالله ــ يعني أنها مدلهمة مظلمة؛ لا يرى فيها النور والعياذ بالله، ولا يدري الإنسان أين يذهب؛ يكون حائراً، ما يدري أين المخرج، أسأل الله أن يعيذنا من الفتن.

والفتن منها ما يكون من الشبهات، ومنها ما يكون من الشهوات، ففتن الشبهات: كل فتنة مبنية على الجهل، ومن ذلك ما حصل من أهل البدع الذين ابتــــدعوا في عقائدهم ما ليس من شريعة الله، أو أهل البدع الذين ابتدعوا في أقوالهم وأفعالهم ما ليس من شريعة الله، فإن الإنسان قد يفتن ــ والعياذ بالله ــ فيضل عن الحق بسبب الشبهة.

ومن ذلك أيضاً: ما يحصل في المعاملات من الأمور المشتبهة التي هي واضـــحة في قلب الموقن، مشتبهة في قلب الضال والعياذ بالله، تجده يتعامل معاملـــة تـــبين أنها محرمة، لكن لما على قلبه من رين الذنوب ــ نسأل الله العافية ــ يشتبه عليه الأمر، فيزين له سوء عمله، ويظنه حسناً، وقد قال الله في هـــؤلاء: **(قُـــلْ هَـــلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)** (الكهف: 103، 104) ، فهؤلاء هم الأخسرون والعياذ بالله.

وتكون الفتن ــ أيضاً ــ من الشهوات، بمعنى أن الإنسان يعرف أن هذا حـــرام، ولكن لأن نفسه تدعوه إليه فلا يبالي النبي صلي الله عليه وسلم بل يفعـــل الحرام، ويعلم أن هذا واجب، لكن نفسه تدعوه للكسل فيترك هذا الواجب، هـــذه فتنـــة شهوة، يعني فتنة إرادة، ومن ذلك أيضاً ــ بل من أعظم ما يكون ــ فتنة شـــهوة الزنا أو اللواط والعياذ بالله، وهذه من أضر ما يكون على هذه الأمة، قـــال النـــبي ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من يريدون؛ من هتك لســـتر المرأة،

وخروجها من بيتها لتشارك الرجل في أعماله، ويحصل بذلك الشــــر والبلاء، ولكن نسأل الله أن يجعل كيدهم في نحورهم، وأن يسلط حكامنا عليهم؛ بإبعـــــادهم عن كل ما يكون سبباً للشر والفساد في هذه البلاد، ونسأل الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ أن يوفق لحكامنا بطانة صالحة؛ تدلهم على الخير، وتحثهم عليه.

إن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وهي أعظم فتنة، وهناك أناس الآن يحيكـــــون كل حياكة من أجل أن يهدروا كرامة المرأة، من أجل أن يجعلوهــــا كالصــــــورة، كالدمى، مجرد شهوة وزهرة يتمتع بها الفساق والسفلاء من النـــاس، ينظـــرون إلى وجهها كل حين وكل ساعة والعياذ بالله، ولكن ـــ بحول الله ـــ أن دعاء المسلمين سوف يحيط بهم، وسوف يكبتهم ويردهم على أعقابهم خائبين، وســـوف تكـــون المرأة السعودية ـــ بل المرأة في كل مكان من بلاد الإسلام ـــ محترمة مصونة، حيث وضعها الله عز وجل.[147]

147 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

أفضل الأعمال

68 – (عن أَبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أيُّ العَمل أَفْضَلُ؟ قَالَ: إيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الجهادُ فِي سَبيلِ اللهِ قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ.)[148]

هذا الحديث فيه: بيان أن أفضل الأعمال هو الإيمان بالله ورسوله، وهو التصديق والاعتراف بربوبية الله، ووحدانيته، وألوهيته، وأنه مستحق للعبادة، وهذا أفضل الأعمال، وهو أساس الدين، وأساس الملة، وهو إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، ثم يتبعها عمل الجوارح، وعمل القلب اعتراف يتمِّمه المحبة، والانقياد، والنية، والإخلاص، فهذا أفضل الأعمال، ثم يليه الجهاد في سبيل الله، ثم يليه الحج المبرور، وهو الذي ليس فيه إثم.

وقُدِّم الجهاد في سبيل الله على الحج لأن نفعه متعدٍّ؛ إذ به تصان الحرمات، وبه يذاد عن الإسلام وأهله، وبه تعلو كلمة الله عز وجل، ثم يليه الحج؛ لأن الحج نفعه قاصر؛ فلذلك قُدِّم الجهاد على الحج.[149]

148 البخاري، حديث: 26، ومسلم، حديث: 83.

149 توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، الراجحي.

أحب الأعمال إلى الله

69 – (عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ. فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه.)[150]

هذا الحديث فيه: دليل على فضل الصلاة في وقتها، وأنها أفضل الأعمال؛ لأنها أفضل الفرائض وأوجب الواجبات بعد الإيمان بالله ورسوله ﷺ وأداء الصلاة في وقتها من أفضل الأعمال، وكذلك يدخل في هذا أداؤها في الجماعة للرجل القادر.

وفي الحديث السابق قدم الجهاد على الحج، وهنا قدم بر الوالدين على الجهاد؛ وذلك لأن بر الوالدين فرض، بخلاف الجهاد في سبيل الله عز وجل، فقد يكون فرضًا، وقد يكون نفلًا، والأصل أنه مستحب إلا في حالات ثلاث:

الأول: إذا داهم العدو بلاد المسلمين، صار فرضًا على كل أحد.

الثاني: إذا استنفر الإمام طائفة أو شخصًا صار فرضًا عليه.

الثالث: إذا وقف في الصف.

ففي هذه الحالات الثلاث يكون الجهاد فرضًا، وما عداها يكون نفلًا، بخلاف بر الوالدين فهو فرض في كل حال؛ ولهذا قدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله، وما كان فرضًا في جميع الأحوال مقدم على ما كان فرضًا في بعض الأحوال، ثم إن هذه الحالات الثلاث ليست على كل أحد، بخلاف بر الوالدين فهو فرض على كل أحد؛ ولهذا جاء في الحديث الآخر لما جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد

150 البخاري، حديث: 7534، ومسلم، حديث: 85.



قال: (**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**) قَالَ: نَعَمْ، قال: (**فَفِيهِمَـا فَجَاهِـدْ**)، فدل على أن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله؛ لأنه فرض في جميع الأحوال.

وترتيب أفضل الأعمال عند الله في هذين الحديثين كالتالي:

الإيمان بالله ورسوله ﷺ.

ثم الصلاة على وقتها.

ثم بر الوالدين.

ثم الجهاد في سبيل الله.

ثم الحج المبرور الذي ليس فيه إثم، ولا كبيرة

وقوله: (**فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ، إِلَّا إِرْعَاءً عَلَيْهِ**)، يعني: إلا شفقة عليه من المشقة.[151]



151 توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، الراجحي.

فضل الرباط في سبيل الله

70 – (عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.)[152]

ذكر المؤلف رحمه الله أحاديث في فضل الجهاد والرباط في سبيل الله وأن الغدوة والروحة في سبيل الله أو غدوة وروحة في الرباط خير من الدنيا وما فيها وهذا فضل عظيم خير من الدنيا كلها من أولها إلى آخرها وما فيها.

وليس خيرا من دنياك التي أنت تعيشها فقط بل من الدنيا وما فيها ومن متى الدنيا من زمن لا يعلمه إلا الله وكذلك لا يدري متى تنتهي كل هذا خير من الدنيا وما فيها قال: وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ويقال في ذلك ما قيل في الأول إن الدنيا كلها من أولها إلى آخرها موضع السوط في الجنة خير منها والغدوة والروحة في سبيل الله خير منها والرباط في سبيل الله خير منها.

وفي هذه الأحاديث أن النبي ﷺ سأل أي الرجال خير فبين أنه الرجل الذي يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه ثم أي قال ورجل مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره يعني أنه قائم بعبادة الله كاف عن الناس ولا يريد أن ينال الناس منه شر وهذا أحد الأدلة الدالة على أن العزلة خير من الخلطة مع الناس ولكن الصحيح في هذه المسألة أن في ذلك تفصيلا من كان يخشى على دينه بالاختلاط بالناس فالأفضل له العزلة ومن لا يخشى فالأفضل أن يخالط الناس لقول النبي ﷺ:

152 البخاري واللفظ له، حديث: 2892، ومسلم، حديث: 1881.



المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط النـــاس ولا يصبر على آذاهم.

فمثلا: إذا فسد الزمان ورأيت أن اختلاطك مع الناس لا يزيدك إلا شرا وبعدا من الله فعليك بالوحدة اعتزل قال النبي ﷺ: يوشك أن يكون خير مال الرجل غنمـــا يتبع بها شعث الجبال ومراتع القطر.

فالمسألة تختلف العزلة في زمن الفتن والشر والخوف من المعاصي خير من الخلطة أما إذا لم يكن الأمر كذلك فاختلط مع الناس وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصـــبر على آذاهم وعاشرهم ربما ينفع الله بك رجلا واحدا خـــير لـــك من حمر النعم إذا هداه الله على يديك والله الموفق.[153]



153 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

أجر المجاهد في سبيل الله

71 – (عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قيل: يَا رسولَ اللهِ، مَا يَعْدلُ الجهادَ في سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ» فَأعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»! ثُمَّ قَالَ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانتِ بآياتِ الله لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ في سَبِيلِ اللهِ». متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا اللفظ لمسلمٍ.

وفي رواية البخاري: أنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رسول الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لَا أجِدُهُ» ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتقومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ»؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟! قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات.)[154]

من فضل الجهاد في سبيل الله: أن الإنسان إذا قتل شهيدا فإنه يأتي يوم القيامة وجرحه يدمي اللون لون الدم والريح ريح المسك يشهده الأولون والآخرون من هذه الأمة وغيرها بل ويشهده الملائكة في ذلك اليوم المشهود وهذا يوجب له الرفعة في الدنيا والآخرة.

ومنها أن من قاتل (فواق ناقة) وهو ما بين الحلبتين فإنه تجب له الجنة فإذا شهد الصف ولو بهذا المقدار يقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فإنها تجب له الجنة.

ومنها أن الخارج للجهاد في سبيل الله له مثل أجر الصائم القائم من حين أن يخرج إلى أن يرجع والصائم القائم من حين أن يخرج المجاهد إلى أن يرجع هو الذي يساويه في الأجر عند الله عز وجل ولكن ذلك لا يستطاع كما قاله النبي ﷺ وقاله الصحابة له ومنها أن الله أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة في الجنة كل درجة بينها وبين الأخرى مثل ما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله.

154 البخاري، حديث: 2785، ومسلم، حديث: 1878.



فهذه الأحاديث وأمثالها وهي كثيرة جدا تدل على فضل الجهاد في سبيل الله والجهاد في سبيل الله يكون بالمال ويكون بالنفس ولكنه بالنفس أفضل وأعظم أجرا لأن كل هـــــذه الأحاديث التي سمعناها كلها فيمن جاهد بنفسه ومن جاهد بماله فهو على خير وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا أي كتب له أجـــر الغـــازي ومن خلفه في أهله في خير فقد غزا فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المجاهدين في سبيله ابتغاء وجه الله إنه على كل شيء قدير.[155]



155 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

درجات المجاهدين في الجنة

72 – (عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: إنَّ في الجنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ.)[156]

فيه: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِىّ، ﷺ : **(مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِى أَرْضِهِ الَّتِى وُلِدَ فِيهَا)** ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، أَفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: **(إِنَّ فِى الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ)** . 1655 / – وفيه: سَمُرَةَ، قَالَ الرسول ﷺ : **(رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِى، فَصَعِدَا بِى الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلانِى دَارًا هِىَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، قَالا: أَمَّا هَذِهِ الدَّارُ، فَدَارُ الشُّهَدَاءِ)**. قال المهلب: تستحق الجنة بالإيمان بالله ورسوله، وقد روى عن الرسول أنه قال: **(ثمن الجنة لا إله إلا الله)** وبالشهادة والأعمال الصالحة تستحق الدرجات والمنازل فى الجنة وقوله: **(وسط الجنة)** فيحتمل أن يريد موسطتها، والجنة قد حفت بها من كل جهة. وقوله: (أعلى الجنة) يريد أرفعها؛ لأن الله تعالى مدح الجنات إذا كانت فى علو، فقال: **(كمثل جنة ربوة)** [البقرة:

---

156 البخاري، حديث: 7423.

265]، وقوله: (**منها تفجر أنهار الجنة**) يريد أنها عالية من الارتفاع وقال المؤلف: وقوله: (**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه**) فيه تأنيس لمن حرم الجهاد فى سبيل الله، فإن له من الإيمان بالله والتزام الفرائض ما يوصله إلى الجنة؛ لأنها هى غاية الطالبين، ومن أجله تبذل النفوس فى الجهاد. فلما قيل لرسول الله: (**أفلا نبشر الناس**) أخبر ﷺ بدرجات المجاهدين فى سبيله وفضيلتهم فى الجنة ليرغب أمته فى مجاهدة المشركين وإعلاء كلمة الإسلام، وهذا الحديث كان قبل فرض الزكاة والحج. فلذلك لم يذكرا فيه والله أعلم. وقد روى ابن وهب، عن عبد الرحمن بن شريح، عن سهل بن أبى أمامة بن سهل ابن حنيف، عن أبيه، عن جده، عن النبى ﷺ أنه قال: (**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**) رواه حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن النبى ﷺ ، وحديث أبى هريرة شبه هذا المعنى؛ لأن قوله ﷺ: (**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى**) خطاب لجميع أمته يدخل فيه المجاهدون وغيرهم. فدل ذلك أنه قد يعطى الله لمن لم يجاهد قريبًا من درجة المجاهد؛ لأن الفردوس إذا كان أعلى الجنة ولا درجة فوقه، وقد أمر ﷺ جميع أمته بطلب الفردوس من الله؛ دل أن من بوأه الفردوس وإن لم يجاهد فقد تقارب درجته من درجات المجاهد فى العلو وإن اختلفت الدرجات فى الكثرة، والله يؤتى فضله من يشاء.[157]

157 شرح صحيح البخاري لابن بطال.

وجوب الجنة للمؤمن

73 – (عن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رَسولَ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رسولَ اللهِ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا العَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ في الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَينِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ» قَالَ: وَمَا هيَ يَا رسول اللهِ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ، الجهَادُ في سَبيلِ اللهِ».)[158]

(الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر) قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولا)** قال صاحب التحرير رحمه الله معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به و لم أطلب معه غيره فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى و لم يسع في غير طريق الإسلام و لم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه وقال القاضي عياض رحمه الله معنى الحديث صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه لأن من رضي أمرا سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له والله أعلم.[159]

---

158 مسلم، حديث: 1884.

159 شرح النووي على مسلم.

من جهز غازيا في سبيل الله

74 – (عن زيد بن خالد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا.)[160]

هذا الحديث فيه: فضل من جهز الغازي أو خلفه في أهله بخير، وأن له مثل أجـــــر الغازي، وهذا من فضل الله تعالى وإحسانه، فيكون الغازي المجاهد له أجر الجهاد، والذي يجهزه له أجر الجهاد؛ لأنه جاهد بماله، ويجهزه يعني: يعطيه ما يكفيه ليشتري السلاح والمركوب، أو يعطيه نفقة تكفيه، والذي يخلفه في أهلـــه بخير لـــه أجـــر الغازي- أيضًا- لأن الغازي يحتاج إلى من يخلفه في أهلـــه وأولاده وينفـــق عليهم ويرعى شؤونهم؛ فالذي يخلفه بخير- يعني: يقوم مقامه- له أجر الغازي.[161]

قلت: وأيضا يدخل في هذا ما يقوم به بعض أهل الخير في زماننا هذا من النفقة على طباعة الكتب وتفريغ الدعاة إلى الله في سبيل نشر الإسلام والنفقة عليهم فهو جهاد بالكلمة والقلم ورد الشبهات عن الإسلام والتصدي للغزو الفكري وصد انتشـــار الفرق الضالة في بلاد المسلمين والتعريف بالإسلام لغير المسلمين فهـــذا والله أعلم خير ما ينفق فيه المال والأوقات.

160 البخاري، حديث: 2843، ومسلم، حديث: 1895.

161 توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، الراجحي.



من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين

75 – (عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ.)[162]

وهذا الحديث مشتمل على ثلاثة أحكام:

أحدها: فضل التفقه في الدين.

وثانيها: أن المعطي في الحقيقة هو الله.

وثالثها: أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبدا.

فالأول لائق بأبواب العلم، والثاني لائق بقسم الصدقات؛ ولهذا أورده مسلم في الزكاة والمؤلف في الخمس، والثالث لائق بذكر أشراط الساعة، وقد أورده المؤلف في الاعتصام لالتفاته إلى مسألة عدم خلو الزمان عن مجتهد.

وقد تتعلق الأحاديث الثلاثة بأبواب العلم، بل بترجمة هذا الباب خاصة من جهة إثبات الخير لمن تفقه في دين الله، وأن ذلك لا يكون بالإكثار فقط، بل لمن يفتح الله عليه به، وأن من يفتح الله عليه بذلك لا يزال جنسه موجودا حتى يأتي أمر الله.

وقد جزم البخاري بأن المراد بهم أهل العلم بالآثار، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟!

قال القاضي عياض: أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث، وقال النووي: يحتمل أن تكون هذه الطائفة فرقة من أنواع المؤمنين ممن يقيم أمر الله من:

162 البخاري، حديث: 71، ومسلم، حديث: 1037.

مجاهد، وفقيه، ومحدث، وزاهد، وآمر بالمعروف، وغير ذلك من أنـــواع الخير، ولا يلزم اجتماعهم في مكان واحد، بل يجوز أن يكونوا مفرقين.

قوله: (**يفقهه**) أي: يفهمه كما تقدم، وهي ساكنة الهاء؛ لأنها جواب الشرط، يقال: فقه بالضم: إذا صار الفقه له سجية، وفقه بالفتح: إذا سبق غيره إلى الفهم، وفقه بالكسر: إذا فهم.

ومفهوم الحديث: أن من لم يتفقه في الدين، أي: يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع؛ فقد حرم الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلـــوم، وســـيأتي بقيـــة الكلام على الحديثين الآخرين في موضعهما إن شاء الله.[163]

163 النكت على صحيح البخاري لابن حجر.

76 – (عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأفْتوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.)[164]

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال إن الله لا يقبض العلم انتزاعا من صدور الرجال ففي هذا الحديث إشارة إلى أن العلم سيقبض ولا يبقى في الأرض عالم يرشد الناس إلى دين الله فتتدهور الأمة وتضل بعد ذلك يترع منهم القرآن يترع من الصدور ومن المصاحف كما قال أهل السنة إن القرآن كلام الله مترل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود قالوا معنى وإليه يعود أي يرجع إلى الله عز وجل في آخر الزمان حين يهجره الناس هجرا تاما لا يقرؤونه ولا يعملون به ونظير ذلك الكعبة المشرفة حماها الله عز وجل لما أراد أبرهة أن يهدمها وقدم إليها بفيل عظيم وجنود كبيرة حماها الله عز وجل منه وأنزل الله في ذلك سورة كاملة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول طيور أرسلها الله عز وجل أبابيل يعني جماعات متفرقة كل واحد في منقاره وبين رجليه حجارة من سجيل يعني من طين صلب فكانت هذه الطيور بأمر الله ترسل هذه الحجارة على هؤلاء الجنود حتى أنها تضرب الرجل من رأسه وتخرج من دبره نعوذ بالله حتى جعلهم

164 البخاري، حديث: 100، ومسلم حديث: 2673.



كعصف مأكول يعني كعصف الزرع الذي أكلته البهائم واختلط بعضه ببعض لكن في آخر الزمان إذا انتهك الناس حرمة هذا البيت واكثروا فيه من المعاصي وغير ذلك مما يعد امتهانا لحرمته سلط الله عليهم رجلا من الحبشة أفحج الرجلين قصير فينقضها حجرا حجرا يأتي إليها بجنود فينقضها يهدمها حجرا حجرا إذا نزع الحجر أعطاه أحد الجنود ثم التالي الذي بجنبه من مكة إلى البحر يتمادون حجارتها حتى تهدم عن آخرها فانظر كان في الأول حماها الله عز وجل من أولئك الكفرة لأنه يعلم أنه سيبعث فيها رسولا ينقل الناس من الضلال والظلم والشرك إلى الهدى والعدل والتوحيد.

لكن في آخر الزمان عندما ينتهك الناس هذه الحرمة ترفع من مكانها يسلط الله عليها بحكمته من يهدمها ولا أحد يقول شيء ولا أحد يعارض هذا الرجل والله عز وجل بحكمته يمكنه من ذلك كذلك القرآن الكريم ينتزع من الصدور ومن المصاحف ويرفع إلى الرب عز وجل لأنه كلامه منه بدأ وإليه يعود العلم أيضا لا ينتزع من صدور الرجال لكنه يقبض بموت العلماء يموت العلماء الذين هم علماء حقيقة ولا يبقى عالم فيتخذ الناس رؤساء يعني يتخذ الناس من يترأسهم ويستفتونه لكنهم جهال يفتون بغير علم فيضلون ويضلون والعياذ بالله وتبقى الشريعة بين هؤلاء الجهال يحكمون بها بين الناس وهم جهلة لا يعرفون فلا يبقى عالم وحينئذ لا يوجد الإسلام الحقيقي الذي يكون مبنيا على الكتاب والسنة لأن أهله قد قبضوا وفي هذا الحديث حث على طلب العلم لأن الرسول أخبرنا بهذا لأجل أن نتحاشى ونتدارك هذا الأمر ونطلب العلم وليس المعنى أنه أخبرنا لنستسلم فقط لا من أجل أن نحرص على طلب العلم حتى لا نصل إلى الحال التي وصفها الرسول ﷺ والإخبار بالواقع لا يعني إقراره يعني إذا أخبر الرسول ﷺ عن شيء ليس معناه أنه



يقره ويسمح فيه كما أخبر عليه الصلاة والسلام وأقسم قال لتركبن سنن من كان قبلكم يعني لتركبن طرق من كان قبلكم قالوا اليهود والنصارى قال نعم اليهود والنصارى فأخبر أن هذه الأمة سوف ترتكب ما كان عليه اليهود والنصارى إخبار تحذير لا إخبار تقرير وإباحة فيجب أن نعلم الفرق بين ما يخبر به الرسول مقررا له ومثبتا له وما يخبر به محذرا عنه فالرسول ﷺ أخبر بأن العلماء سيموتون ويعني ذلك أن نحرص حتى ندرك هذا الوقت الذي يموت به العلماء ولا يبقى إلا هؤلاء الرؤساء الجهال الذين يفتون بغير علم فيضلون بأنفسهم ويضلون غيرهم اللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا صالحا ورزقا طيبا واسعا.[165]



165 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

أفضل الإسلام

77 – (عن أَبِي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ أَيُّ الإسلام أفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.)[166]

وقوله ﷺ **(من سلم المسلمون من لسانه ويده)** معناه من لم يؤذ مسلما بقول ولا فعل وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها وقد جاء القرآن العزيز بإضافة الاكتساب والأفعال إليها لما ذكرناه والله تعالى أعلم وقوله ﷺ من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا معناه المسلم الكامل وليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة بل هذا كما يقال العلم ما نفع أوالعالم زيد أي الكامل أو المحبوب وكما يقال الناس العرب والمال الإبل فكله على التفضيل لا للحصر ويدل على ما ذكرناه من معنى الحديث قوله أي المسلمين خير قال من سلم المسلمون من لسانه ويده ثم إن كمال الإسلام والمسلم متعلق بخصال أخر كثيرة وإنما خص ما ذكر لما ذكرناه من الحاجة الخاصة والله أعلم ومعنى تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف أي تسلم على كل من لقيته عرفته أم لم تعرفه ولا تخص به من تعرفه كما يفعله كثيرون من الناس ثم إن هذا العموم مخصوص بالمسلمين فلا يسلم ابتداء على كافر وفي هذه الأحاديث جمل من العلم ففيها الحث على إطعام الطعام والجود والاعتناء بنفع المسلمين والكف عما يؤذيهم بقول

أو فعل مباشرة أو سبب والإمساك عن احتقارهم وفيها الحث على تألف قلوب المسلمين واجتماع كلمتهم وتوادهم واستجلاب ما يحصل ذلك قال القاضي رحمه

166 البخاري، حديث: 11، ومسلم: حديث: 42.



الله والالفة احدى فرائط الدين وأركان الشريعة ونظام شمل الإسلام قال وفيه بذل السلام لمن عرفت ولمن لم تعرف وإخلاص العمل فيه لله تعالى لا مصانعة ولا ملقا وفيه مع ذلك استعمال خلق التواضع وإفشاء شعار هذه الأمة والله تعالى أعلم.[167]



167 شرح النووي على مسلم.

78 – (عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ.)[168]

هذا [حديث] في بيان خطر اللسان وأنه من أعظم ما يكون من الأعضاء خطورة، ففي الحديث الأول أن النبي ﷺ قال من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة الذي بين لحييه هو اللسان والذي بين الرجلين هو الفرج، سواء للرجل أو المرأة، يعني من حفظ لسانه وحفظ فرجه، حفظ لسانه عن القول المحرم، من الكذب والغيبة والنميمة والغش وغير ذلك، وحفظ فرجه من الزنا واللواط ووسائل ذلك، فإن النبي ﷺ يضمن له الجنة، يعني أن جزاءه هو الجنة إذا حفظت لسانك وحفظت فرجك، فزلة اللسان كزلة الفرج، خطيرة جدًا، وإنما قرن النبي ﷺ بينهما لأن في اللسان شهوة الكلام، كثير من الناس يتنطع ويتلذذ إذا تكلم في أعراض الناس، ويتفكه والعياذ بالله.

وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين فنجده أحب شيء عنده أن يتكلم في أعراض الناس، ومن الناس من يهوى الكذب، فنجد أحسن شيء عنده هو الكذب، والكذب من كبائر الذنوب لاسيما إذا كذب بالكلمة ليضحك القوم فإن الرسول ﷺ قال ويل لمن حدث فكذب ليضحك به القوم، ويل له ثم ويل له.[169]

168 البخاري، حديث: 6474.

169 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

الكلمة التي لا يلقى لها بالا

79 – (عن أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ.)[170] وفي رواية: (يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب.)

إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النـــار أبعـــد مما بين المشـــرق والمغرب الكلمة **(ما يتـــبين فيهـــا)** يعني لا يتأكد، ينقل ما سمع وكفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع فتجده يتكلم بالكلمة ولا يتبين ولا يتثبت ولا يدرس معناه ولا يدرس ماذا توصل إليه، والعياذ بالله يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب.

ومسافة ما بين المشرق والمغرب بعيدة جدًا، نصف الكرة الأرضية، ومع ذلك كلمة واحدة زل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب، وهذا يدل على وجوب التأكد مما تتكلم به، سواء نقلته إلى غيرك أو نقلته عن غيرك، تثبت، اصبر، لا تستعجل، ما الذي يوجب لك أن تستعجل في المقال؟ اصبر حتى تتثبت ويتبين لك الأمر، ثم إن رأيت مصلحة في الحديث فتحدث، وإذا لم تر مصلحة في الحديث فاســـــكت من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خير أو ليصمت.

أن الرجل يتكلم بالكلمة من رضوان الله، ويعني كلمة ترضي الله، قرآن، تســـبيح، تكبير، تهليل، أمر بالمعروف، نهي عن المنكر، تعليم علم، إصلاح ذات البين، ومـــا أشبه ذلك، يتكلم بالكلمة ترضي الله عز وجل ولا يلقي لها بالاً، يعني أنـــه لا يظن

170 البخاري، حديث: 6478، ومسلم، حديث: 2988.

أنها تبلغ به ما بلغ، وإلا فهو قد درسها وعرفها وألقى لها البـــــال، لكن لا يظن أن تبلغ ما بلغت يرفع الله له بها درجات في الجنة، وعلى ذلك رجل يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بها بالاً يهوي بها في النار، لأنه تكلم بها ولا ظن أن تبلـــغ مـــا بلغت، وهذا يقع كثيراً، كثيراً من الناس والعياذ بالله تجده يسأل عن فلان العاصي وما أشبه ذلك فيقول: هذا اتركه، اترك هذا، وهذا والله ما يعرف سبيله، هذا والله ما يغفر الله له، هذه كلمة خطيرة كان رجل عابد يمر برجل عاص، عابد يعبد الله، فيقول هذا الرجل العابد: والله لا يغفر لفلان، انظر، والعياذ بالله تحجر واسعًا وتألى على الله، والله لا يغفر لفلان؛ لأن الرجل العابد هذا معجب بعمله، يرى نفســـــه، ويدلي بعمله على ربه، وكأن له المنة على الله سبحانه وتعالى، فقال: والله لا يغفـــر الله لفلان، قال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ قد غفرت لفلان وأحبطت عملك الملك والسلطان لمن؟ لله عز وجل، ما هو لك حتى تقول: والله ما يغفر الله لفلان.

والملك والسلطان لله لا ينازعه فيه منازع إلا أذله الله، قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ قد غفرت لفلان وأحبطت عملك كلمة واحدة صارت ســـــببًا لحبط عمله نسأل الله العافية.

إذاً احذر زلة اللسان، ومن ذلك أيضاً أي من زلل اللسان إذا قال مثلاً شخص: يا فلان، إن جارنا لا يصلي لعلك تنصحه إن شاء الله خيرًا قال له: هذا مـــا يمكن أن يهتدي أبدًا، هذا طاغ هذا فاسق.



أعوذ بالله، القلوب بيد من؟ بيد الله عز وجل كما أخبرنا النبي ﷺ يقول مـــا من قلب من قلوب بني آدم إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبـــه كيـــف يشاء، إن شاء أزاغه وإن شاء هداه.[171]



171 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

تحريم الغيبة

80 – (عن أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِما يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فقد اغْتَبْتَهُ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ.)[172]

والغيبة محرمة بالكتاب والسنة والإجماع، وهي من كبائر الذنوب، قال الله تعـالى: {وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}، والنهي للتحريم كما هو معروف، وقال ﷺ: **(إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُم، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ)**، وقد نفَّر الله تعالى عنها تنفيرًا عظيمًا بقوله: **{أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ}**، فهل يستطيع الإنسان أن يأكل لحمًا ميتًا؟ فكيف إذا كان هذا اللحمُ الميت لحمَ أخيه المسلم؟ !

فالغيبة– كما بيَّنها النبيُّ ﷺ-: **(ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ)**، هذا إذا كان الكلام الذي قيل فيه موجودًا فيه، وأما إذا لم يكن فيه فهذا يعدُّ بهتانًا، والبهتان: هو الباطل.

ولكن يُستثنى من الغيبة إذا كان الكلام لغرض شرعي صحيح وهي ستةُ أمور:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: فلان ظلمني وأخذ حقي، فهذا مستثنى؛ لأنه لا بد أن يطالب بحقه، ولا بد أن يتكلم في عرضه؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الآخر: **(لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ)**، يعني: أن مماطلته تُحِلُّ عرضَه وعقوبته.

172 مسلم، حديث: 2589.

الثاني: الاستعانة على تغيير منكر، فيقول لمن يرجو قدرته: فلان يعمل كذا فازجره عنه، ونحو ذلك، أو يقول ذلك لبعض إخوانه ليساعدوه في إزالة المنكر.

الثالث: الاستفتاء، بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان، أو زوجي بكذا فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، كما استفتت هند بنت عتبة رضي الله عنها زوجة أبي سفيان ﵁ النبيَّ ﷺ، وقالت: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، فَقَالَ: خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ، بِالْمَعْرُوفِ**).

الرابع: تحذير المسلمين من الشر والفساد، والمجرمين وأهل البدع، ومن ذلك: جرح الرواة، كأن يقول: فلان ضعيف، فلان يتكلم في القَدَر، فلان يرى مذهب الخوارج، فلان رافضي، فهذا ونحوه ليس بغيبة، وإنما هو نصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولعامة المسلمين، وذلك جائز بالإجماع، بل واجب صونا للشريعة. ومنه: الإخبار بالعيب عند المشاورة، فمن ذلك لما جاء ثلاثة يخطبون فاطمة بنت قيس رضي الله عنها إلى النبي ﷺ لما طلقت، وهم: معاوية بن أبي سفيان ﵁، وأبو جهم ﵁، وأسامة بن زيد ﵁، فجاءت تستشير النبي ﷺ، فقال لها النبي ﷺ: (**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، ثُمَّ قَالَ: انْكِحِي أُسَامَةَ**)، وهذا من باب النصيحة، ولا بد من بذلها للمستشير.

الخامس: الكلام في الفاسق والمبتدع المعلن بفسقه وبدعته، فهذا لا غيبة له؛ لأنك تذكره بما فيه، وهو الذي فضح نفسه علنًا، ومن ذلك قول النبي ﷺ: (**فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**) أما الإنسان المتستر الذي أغلق عليه بابه و لم يعلن فهذا لا يتكلم فيه إلا لمصلحة كالأمور التي سبقت.



السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب لا يعرف إلا به، كـــــالأعمش والأعرج، والأصم، والأحول وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أَولى، مثل ابن علية، فإنه كان يكـــره أن يقال: ابن علية، ولكن المحدثين كانوا ينسبونه هكذا؛ لأنه لم يكن يعرف إلا بهذا. فهذه الأمور الستة مستثناة من الغيبة.[173]



173 توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم.

81 – (عن أَبِي بَكْرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ في خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى في حَجَّةِ الوَدَاعِ: إنَّ دِماءكُمْ، وَأمْوَالَكُمْ، وأعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ.)[174]

هذه بقية الأحاديث التي ساقها المؤلف رحمه الله في باب الغيبة والأمر بحفظ اللسان، واشتملت على أشياء متعددة منها بيان الغيبة، وأنها ذكرك أخاك بما يكره، وقد سبق لنا بيان هذا وأن الغيبة ذكرك أخاك بما يكره في دينه أو خلقه أو بدنه أو أهله أو غير ذلك، إلا إذا كان المقصود النصيحة، كما لو استشارك شخص في معاملة إنسان وأنت تعرف من هذا الإنسان أنه ليس أهلاً للمعاملة، وأنه مثلاً كذاب أو ما أشبه ذلك، وأردت أن تبين له ما فيه من عيب، فلا بأس فيه، وبينا دليل هذا في حديث فاطمة بنت قيس حين استشارت النبي فيمن خطبوها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم وأسامة بن زيد، فقال النبي ﷺ أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فضراب للنساء، انكحي أسامة، فهذا من باب النصيحة فلا بأس بها، وتضمنت هذه الأحاديث إعلان رسول الله ﷺ تحريم الدماء والأموال والأعراض في حجة الوداع في أكبر مجتمع حصل بين النبي ﷺ وبين الصحابة؛ لأن الذين حجوا معه قريب من مائة ألف، ومع ذلك أعلن ﷺ وقال: إن أموالكم ودماءكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: اللهم اشهد.

174 مسلم، جزء من حديث: 1679.

وكذلك أيضاً بينت هذه الأحاديث أن ذكرك أخاك بما يكره ولو بما يتعلق بخلقته كالطويل والقصير وأما أشبه ذلك، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت في صفية بنت حيي إحدى أمهات المؤمنين: حسبك من صفية كذا تعني أنها قصيرة، تقول للرسول ﷺ: فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته يعني لو خلطت بماء البحر على كبره وسعته لمزجته، أي أثرت فيه وهي كلمة يسيرة جداً لكنها عظيمة، حيث إنها في ضرتها، وحيث إنها قد يحدث من هذه الكلمة أن يكره النبي ﷺ صفية، فلعظمها صار لها هذا الأثر العظيم، كذلك أيضاً العقوبة العظيمة التي رآها النبي ﷺ وقد أسري به، أنه قد مر بأقوام لهم أظافر من النحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يقعون في أعراض الناس يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم فالمهم أن الواجب على الإنسان الحذر من إطلاق اللسان، وألا يتكلم إلا بخير إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، قال النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت نسأل الله أن يحمينا وإياكم من سخطه وأن يعيننا وإياكم على شكره وحسن عبادته.[175]

175 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

82 – (عن كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديثه الطويل في قصةِ تَوْبَتِهِ وَقَدْ سبق في باب التَّوبةِ. قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ وَهُوَ جالِسٌ في القَومِ بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعبُ بن مالكٍ؟ فَقَالَ رَجلٌ مِنْ بَنِي سَلمَةَ: يَا رسولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُعاذُ بنُ جبلٍ – رضي الله عنه: بِئْسَ مَا قُلْتَ، والله يَا رسولَ الله مَا علمنا عَلَيْهِ إلاّ خَيْرًا، فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ.)[176]

اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو

176 البخاري، جزء من حديث: 4418، ومسلم، جزء من حديث: 2769.

شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومـــع ذلك، فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملتـــه، أو غـــير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنـــه العلم، وخـــاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه. وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إما بأن لا يكون صالحا لها، وإما بأن يكون فاسقا، أو مغفلا، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامـــة ليزيله، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمـــر، ومصـــادرة الناس، وأخذ المكس ، وجباية الأموال ظلما، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكـــون لجوازه ســـبب آخـــر مما ذكرناه.



الســـادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب، كـــالأعمش، والأعـــرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقـــه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى، فهذه ستة أسباب ذكرهـــا العلماء وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة .[177]

قلت: وقد جمعت هذه الأسباب في هذه الأبيات:

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرف ومحذر ومجاهر

فسقا ومستفت ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر



177 رياض الصالحين للنووي، ت. الفحل، ص 425 - 426.



83 – (عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قالت هِنْدُ امْرَأَةُ أَبِي سفْيَانَ للنَّبِيِّ ﷺ: إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفيني وولَدِي إِلاّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ؟ قَالَ: خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ.)[178]

فى هذا الحديث من الفقه: أنه يجوز للإنسان أن يأخذ من مال من منعه من حقه أو ظلمه بقدر ماله عنده، ولا إثم عليه فى ذلك؛ لأن النبى ﷺ أجاز لهند ما أخذت من مال زوجها بالمعروف، وأصل هذا الحديث فى التنزيل فى قوله تعالى: **(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)** [النحل: 126] ، وقد تقدم فى كتاب المظالم اختلاف العلماء فيمن يجحد وديعة ثم يجد المودع له مالاً هل يأخذ عوضًا من حقه أم لا؟

وفيه: أن وصف الإنسان بما فيه من النقص على سبيل التظلم منه والضرورة إلى طلب الإنصاف من حق عليه أنه جائز وليس بغيبة؛ لأن النبى ﷺ لم ينكر عليها قولها. واختلف العلماء فى مقدار ما يفرض السلطان للزوجة على زوجها، فقال مالك: يفرض لها بقدر كفايتها فى اليسر والعسر، ويعتبر حالها من حاله، وبه قال أبو حنيفة، وليست مقدرة. قال الشافعى: هى مقدرة باجتهاد الحاكم فيها، وهى معتبرة بحال الزوج دون حال المرأة، فإن كان موسرًا فمدان لكل يوم، وإن كان متوسطًا فمد ونصف، وإن كان معسرًا فمد، فيجب لبنت الخليفة ما يجب لبنت الحارس. وحجة مالك والكوفيون قوله: (لينفق ذو سعة من سعته) [الطلاق: 7] ، ولم يذكر لها تقديرًا. وقال لهند: **(خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف)** ، فلم يقدر

178 البخاري، حديث: 5364، ومسلم، حديث: 1714.



لها ما تأخذه لولدها ونفسها، فثبت أنها غير مقدرة وأنها على قدر كفايتهـــــا، وإنما يجب ذلك كله بالعقد والتمكين وهو عوض من الاستمتاع عند العلماء.[179]



179 شرح صحيح البخاري لابن بطال.

تحريم النميمة

84 - (وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خرج النبي الله ﷺ مِنْ بَعْضِ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ: يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرَةٍ (وفي رواية: "في كبير")، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ؛ كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا بِكِسْرَتَيْنِ أَوْ ثِنْتَيْنِ، فَجَعَلَ كِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، وَكِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، فَقَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا. قَالَ العلماءُ معنى: وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَيْ: كَبِيرٍ فِي زَعْمِهِمَا. وقِيلَ: كَبِيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.)[180]

النميمة: أن ينقل الإنسان كلام الناس بعضهم في بعض من أجل الإفساد بينهم، وهي من كبائر الذنوب، وقد كشف للنبي ﷺ عن رجلين يعذبان في قبورهما، وأخبر أن أحدهما كان يمشي بالنميمة، وذلك أن بعض الناس والعياذ بالله يفتن فيكون شغوفًا بنقل الكلام، كلام الناس بعضهم لبعض، يتزين بها عند الناس، يأتي لفلان ويقول لفلان قال فيك كذا وكذا قد يكون صادقًا وقد يكون كاذبًا حتى إن كان صادقًا فإنه حرام، ومن كبائر الذنوب، وقد نهى الله تعالى أن يطاع مثل هذا الرجل قال تعالى: **{ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم}** وقال بعض أهل العلم: من نم إليك الحديث نمه منك، يعني من نقل كلام الناس إليك فإنه ينقل كلامك أنت، فاحذره ولا تطعه ولا تلتفت إليه.

فإذا قال قائل: إذا كان الشخص ينقل كلام الإنسان في الإنسان نصيحة، مثل أن يرى شخصًا مغروراً بشخص يفضي إليه أسراره ويلازمه، والشخص هذا يفضي

180 البخاري، حديث: 6055، ومسلم، حديث: 111.

أسرار صاحبه الذي يفضي إليه أسراره ويخدعه، فهل له أن يتكلم فيه؟ فـــالجواب: نعم، له أن يتكلم فيه ويقول يا فلان احذر هذا الشخص فإنه ينقل كلامك ويقول فيك كذا وكذا.

لأن هذا من باب النصيحة ليس غرضه أن يفرق بين الناس ولكن غرضه أن يسدي النصيحة إلى صاحبه، والله تعالى يقول: **{والله يعلم المفســـد من المصـــلح}** والله الموفق.[181]

(النميمة من) الذنوب (الكبائر) وهي نقل مكروه بقصد الإفساد وضابطها كشف ما يكره من شيء بكل ما يفهم وهي أم الفتن، وقد قيل: إن النمام يفسد في ساعة ما لا يفسده الساحر في شهر وعلى سامعها إن جهل كونها نميمـــة أو نصـــحًا أن يتوقف حتمًا فإن تبين أنها نميمة فعليه أن لا يصدقه لفسقه بها ثم ينهاه عنها وينصحه ثم يبغضه في الله ما لم يتب ولا يظن بأخيه الغائب سوءًا ويحرم بحثه عنها وحكاية ما نقل إليه كي لا ينتشر التباغض و لم ينم على النمام فيصير نمامًا. قال النووي: وهذا إذا لم يكن في النقـــل مصـــلحة شـــرعية وإلاّ فهـــو مســـتحب أو واجب كمن اطَّلع من شخص أنه يريد أن يؤذي شخصا ظلمًا فحذره منه.[182]

---

181 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

182 إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني.

85 – (وعن محمد بن زيدٍ: أنَّ ناسًا قالوا لجَدِّهِ عبدِ اللهِ بن عمر رضي الله عنهما: إنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ. قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رسُولِ الله ﷺ.)[183]

ذو الوجهين هو الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، كما يفعل المنافقون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون وهذا يوجد في كثير من الناس والعياذ بالله وهو شعبة من النفاق، تجده يأتي إليك يتملق ويثني عليك وربما يغلو في ذلك الثناء، ولكنه إذا كان من ورائك عقرك وذمك وشتمك وذكر فيك ما ليس فيك، فهذا والعياذ بالله كما قال النبي ﷺ: تجدون شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وهذا من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ وصف فاعله بأنه شر الناس، والواجب على الإنسان أن يكون صريحًا، لا يقول إلا ما في قلبه فإن كان خيرًا حمد عليه وإن كان سوى ذلك وجه إلى الخير، أما كونه يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، سواء كان فيما يتعلق بعبادته يظهر أنه عابد مؤمن تقي وهو بالعكس، أو فيما يتعلق بمعاملته مع الشخص؛ يظهر أنه ناصح له ويثني عليه ويمدحه ثم إذا غاب عنه عقره، فهذا لا يجوز.

183 البخاري، حديث: 7178.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله الآية الكريمة **{يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضي من القول وكان الله بما يعملون محيطًا}** هذه الآية نزلت في قوم يخفون في أنفسهم ما لا يبدونه، يحدثون الناس بما ليس في قلوبهم، فإذا صاروا في الوحدة واجتمعوا في الليل أظهروا ما في نفوسهم والعياذ بالله الذي كانوا أخفوه عن الناس من قبل، فيقول الله عز وجل: **{يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطًا}** ، ومثل ذلك أيضًا من يعمل المعصية خفاءًا ولا يعملها أمام الناس حياءً منهم وخجلاً، وأما الله فلا يستحي منه ولا يخجل والعياذ بالله، وهذا يدخل في الآية الكريمة.

وأما من عمل المعصية وندم وتاب فإنه لا يجوز له أن يحدث الناس بما فعل، فإن النبي ﷺ قال: كل أمتي معافى إلا المجاهرون.

والمجاهر هو الذي إذا فعل المعصية حدث بها، فالواجب على الإنسان أن يكون صريحًا، ظاهره كباطنه، وهو إذا كان صريحًا إن كان على خير ثبته أهل الخير عليه واستمر، وإن كان على خلاف ذلك بينوا له ما عليه من الشر حتى يرتدع، نسأل الله تعالى أن يجعل بواطننا خيرًا من ظواهرنا وأن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى، إنه على كل شيء قدير.[184]

184 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

86 – (عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بنافِخٍ». «تَحَلم»: أيْ قَالَ إنَّه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وَهُوَ كاذب. و «الآنك» بالمدّ وضم النون وتخفيف الكاف: وَهُوَ الرَّصَاصُ المذاب.)[185]

من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد يعني من كذب في الرؤيا قال: رأيت في المنام كذا وكذا وهو كاذب، فإنه يوم القيامة مكلف أن يعقد بين شعيرتين، والمعلوم أن الإنسان لو حاول مهما حاول أن يعقد بين شعيرتين فإنه لا يستطيع، ولكن لا يزال يعذب ويقال: لابد أن تعقد بينهما، وهذا وعيد يدل على أن التحلم بحلم لم يره الإنسان من كبائر الذنوب، وهذا يقع من بعض السفهاء، يتحدث ويقول،: رأيت البارحة كذا وكذا؛ لأجل أن يضحك الناس وهذا حرام عليه، وأشد من ذلك أن يقول: رأيت النبي ﷺ وقال لي كذا وكذا وما أشبه ذلك، فإنه أشد وأشد، لأنه كذب على رسول الله ﷺ، أما من تحلم بحلم رآه فهذا لا بأس به ولكن ينبغي للإنسان أن يعلم أن ما يراه الإنسان في منامه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم: يكون خيرًا ويستبشر به الإنسان ويفرح به الإنسان، فهذا لا يحدث به إلا من يحب، لأن الإنسان له حساد كثيرون، فإذا رأى رؤيا حسنة وحدث بها من لا يحب فإنه ربما يكيد له كيدًا، يحول بينه وبين هذا الخير الذي رآه.

185 البخاري، حديث: 7042، ومسلم، حديث: 2110.



القسم الثاني: رؤيا شر، هذا القسم الثاني مما يراه الإنسان في المنام، رؤيا شر تزعج وتخوف، هذا لا تخبر به أحدًا أبدًا لا صديقك ولا عدوك، وإذا قمت من منامك فاتفل عن يسارك ثلاثًا وقل: أعوذ بالله من شر الشيطان ومن شر ما رأيت. القسم الثالث: رؤيا أضغاث أحلام، ليس لها رأس ولا قدم، يرى الإنسان أشياء متناقضة ويرى أشياء غريبة، وهذه لا تحدث بها أحدًا ولا تهتم بها.[186]



186 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

تحريم قول الزور

87 – (عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «ألَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رسولَ اللهِ. قَالَ: «الإشْراكُ باللهِ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» وكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ألا وَقَولُ الزُّورِ». فما زال يُكَرِّرُهَا حَتَّى قلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ.)[187]

شهادة الزور أن يشهد بما يعلم أن الأمر بخلافة، أو يشهد بما لا يعلم أن الأمر بخلافه أو بوفاقه، أو يشهد بما يعلم أن الأمر على وفاقه لكنه على صفة غير الواقع، هذه ثلاثة أحوال وكلها حرام، لا يحل لإنسان أن يشهد إلا بما علم على الوجه الذي علمه، فإن شهد بما يعلم أن الأمر بخلافه مثل أن يشهد لفلان بأنه يطلب فلانا كذا وكذا وهو يعلم أنه كاذب، فإن هذا والعياذ بالله شهادة زور، ومثل أن يشهد لفلان أنه فقير يستحق الزكاة وهو يعلم أنه غني، ومثل ما يفعله بعض الناس عند الحكومة يشهد بأن فلانا له عائلة عدد أفرادها كذا وكذا وهو يعلم أنه كاذب والأمثلة على هذا كثيرة ويظن هذا المسكين الذي شهد بشهادة الزور يظن أنه نافع لأخيه أنه بار به والواقع أنه ظالم لنفسه وظالم لأخيه، أما كونه ظالما لنفسه فظاهر، لأنه آثم وأتى كبيرة من كبائر الذنوب، وأما كونه ظالما لأخيه فلأنه أعطاه ما لا يستحقه وجعله يأخذ المال بالباطل، وقد قال النبي ﷺ: انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا: يا رسول الله هذا المظلوم كيف ننصر الظالم، قال: تمنعه من الظلم فذلك نصره فهؤلاء الذين يشهدون بالزور والعياذ بالله يظنون أنهم ينفعون إخوانهم وهم يضرون أنفسهم وإخوانهم.

187 البخاري، حديث: 2654، ومسلم، حديث: 87.



ثم استشهد المؤلف بآيات بعضها سبق قريبا وبعضها لم يسبق فقال: قول الله تعالى: فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وأول ما يدخل في قـــول الـــزور شهادة الزور، وقد جعل الله تعالى ذلك مع الرجس من الأوثان أي مع الشرك فدل هذا على عظم شهادة الزور، وقال الله تعالى: **{والذين لا يشهدون الزور}** يمدحهم وإذا كان هؤلاء مدحوا بعدم شهود الزور فأولى أن يمدحوا إذا لم يقولوا الزور، وإذا كان عدم شهادة الزور مدحا دل ذلك على أن شهادة الزور أو القول بالزور قدح وضرر.

وكان متكئا فجلس تعظيما لما سيقول قال: ألا وقول الزور وشـــهادة الـــزور وإنما عظم النبي ﷺ أمرها لكثرة الوقوع فيها وعدم اهتمام الناس بها فأرى النـــاس أن أمرها عظيم، كان يحدث عن الشرك وعقوق الوالدين وهو متكئ، ثم جلس اهتماما بالأمر: ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها قال: حتى قلنا: ليته سكت. وهذا دليل على عظم شهادة الزور وقول الزور وعلى الإنسان أن يتوب إلى الله عز وجل من هذا لأنه يتضمن كما قلت ظلم نفسه وظلم من شهد له.[188]

188 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

88 – (عن ابْن مَسْعُود وَأبي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: قَالَ رَسُول الله ﷺ: " إِن بَين يَدي السَّاعَة أَيَّامًا ينزل فِيهَا الْجَهْل، وَيرْفَع فِيهَا الْعلم، وَيكثر فِيهَا الْهَرج، والهرج: الْقَتْل ".)[189] (وفي رواية يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج.)[190]

هذا كله إخبار من النبي بأشراط الساعة، وقد رأينا هذه الأشراط عيانًا وأدركناها، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقى بالشح فى القلوب، وعمّت الفتن، وكثر القتل، وليس فى الحديث ما يحتاج إلى تفسير غير قوله: (**يتقارب الزمان**) ومعنى ذلك، والله أعلم، تقارب أحوال أهله فى قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله، وقد جاء فى الحديث: (**لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا، فإذا تساووا هلكوا**) يعنى لا يزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وصلاح وخوف لله يلجأ إليهم عند الشدائد، ويستشفى بآرائهم، ويتبرك بدعائهم، ويؤخذ بتقويمهم وآثارهم. وقال الطحاوى: قد يكون معناه فى ترك طلب العلم خاصةً والرضا بالجهل، وذلك أن الناس لا يتساوون فى العلم؛ لأن درج العلم تتفاوت، قال الله تعالى: (**وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ**) [يوسف: 76] وإنما يتساوون إذا كانوا جهالا. قال الخطابى: وأما حديثه الآخر: (**أنه يتقارب الزمان حتى تكون السنّة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة**) فإن حماد بن

189 البخاري، حديث: 7062، ومسلم، حديث: 2672.

190 البخاري، حديث: 6037، ومسلم، حديث: 157.



سلمة قال: سألت عنه أبا سلمان فقال: ذلك من استلذاذ العيش. يريد، والله أعلم، خروج المهدى ووقوع الأمنة فى الأرض ببسطه العدل فيها فيستلذ العيش عند ذلك وتستقصر مدته، ولا يزال الناس يستقصرون أيام الرخاء وإن طالت، ويستطيلون أيام المكروه وإن قصرت، وللعرب فى مثل هذا: مر بنا يوم كالعرقوب القطا قصرًا.

وقوله ﷺ: **(إن من شرار الناس من تدركهم الساعة أحياء)** فإنه وإن كان لفظه العموم فالمراد به الخصوص، ومعناه: أن الساعة تقوم فى الأكثر والأغلب على شرار الناس بدليل قوله ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرها من ناوأها حتى تقوم الساعة)** . فدل هذا الخبر أن الساعة تقوم أيضًا على قوم فضلاء، وأنهم فى صبرهم على دينهم كالقابض على الجمر، وذكر فى مواضع.



89 – (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا.)[191]

باب تحريم قوله لمسلم يا كافر المسلم والكافر حكمهما إلى الله عز وجل فالذي يحكم بالكفر هو الله والذي يحكم بالإسلام هو الله كما أن الذي يحلل ويحرم هو الله عز وجل فليس لنا أن نحلل ما حرم الله ولا أن نحرم ما أحل الله ولا أن نكفر من ليس بكافر في حكم الله ولا أن نقول هذا مسلم وليس مسلما عند الله ومسألة التكفير مسألة خطيرة جدا فتح بها أبواب شر كبيرة على الأمة الإسلامية فإن أول من انتحل هذه النحلة الخبيثة وهي تكفير المسلمين هم الخوارج الذين أخبر النبي ﷺ أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية وأنهم يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم وأنهم يصلون ويتصدقون ويقرأون القرآن حتى أخبر النبي ﷺ أن الصحابة يحقر أحدهم صلاته عند صلاة هؤلاء لكنهم والعياذ بالله كفروا المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم ونساءهم نسأل الله العافية ومازال هذا الحكم موجودا إلى يومنا هذا فإن هناك شعبة ضالة مبتدعة خبيثة تكفر من لم يكفره الله ورسوله بأهوائهم هذا كافر هذا مبتدع هذا فاسق وما أشبه ذلك وماذا حصل من هؤلاء الخوارج المارقين من الإسلام حصل منهم أنهم اجتمعوا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الخليفة الراشد الرابع من الخلفاء الراشدين اجتمعوا معه على حرب أهل الشام واتفقوا على ذلك وجرت بينهم حروب عظيمة ودماء كثيرة ثم

191 البخاري، حديث 6103، ومسلم، حديث: 60.



اصطلح علي رضي الله عنه مع أهل الشام وتصالحوا حقنا لدماء المسلمين فقـــالت الخوارج لعلي بن أبي طالب أنت كافر لماذا فيقولون مثلا من زنى فهو كـــافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر كل ذنب من كبائر الـــذنوب فهـــو عندهم كفر والعياذ بالله يخرج من الملة فهؤلاء الذين يكفرون المسلمين لا شك أنهم هم الكفار لأن النبي ﷺ أخبر أن الرجل إذا قال لأخيه يا كافر فإنه يبوء بها أحدهما لابد إن كان كما قال كافر فهو كافر وإلا كان الكافر هو القائل والعياذ بالله ولهذا يجب أن يتره الإنسان لسانه وقلبه عن تكفير المسلمين لا يتكلم فيقول هذا كافر ولا يعتقد في قلبه أن هذا كافر لمجرد الهوى الحكم بالتكفير ليس لزيد ولا لعمرو بل هو لله ورسوله من كفره الله ورسوله فهو كافر وإن قلنا إنه مسلم ومن لم يكفـــره الله ورسوله فهو مسلم وإن قال من قال إنه كافر لذلك نقول لمن قال لمسلم يا كافر أو يا عدو الله وإن كان المخاطب كما قال فهو كافر وعدو لله وإن لم يكن كـــذلك فالقائل هو الكافر العدو لله والعياذ بالله وعلى هذا فيكون هذا القـــول من كبـــائر الذنوب إذا لم يكن الذي قيل فيه أهلا لها ولهذا جزم المؤلف رحمه الله في تحريم هذا أي في تحريم القول للمسلم يا كافر أو يا عدو الله نسأل الله تعالى أن يحمي قلوبنـــا ويكفنا من الكلام ما يغضبه ويضرنا إنه على كل شيء قدير.[192]

192 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

ليس الشديد بالصرعة

90 (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَال: لَيس الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنما الشَّدِيدُ الّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ . وفي لفظ آخر: لَيسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ قَالُوا: فَالشَّدِيدُ أيمَ هُوَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَال:الذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ.)[193]

قال صاحب الإفصاح: من الجائز أن النبي ﷺ علم من هذا الرجل كثرة الغضب فخصه بهذه الوصية وقد مدح النبي ﷺ الذي يملك نفسه عند الغضب فقال: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الشدائد". ومدح الله تعالى: **{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}**. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "من كظم غيظه وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخبره من الحور ما شاء".

وقد جاء في الحديث: "إن الغضب من الشيطان". ولهذا يخرج الإنسان من اعتدال حاله ويتكلم بالباطل ويرتكب المذموم وينوي الحقد والبغضاء وغير ذلك من القبائح المحرمة، كل ذلك من الغضب أعاذنا الله منه. وقد جاء في حديث سليمان بن صُرد "أن الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تذهب الغضب" وذلك أن الشيطان هو الذي يزين الغضب وكل من حرص على ما تحمد عاقبته فإنه الشيطان يغويه ويبعده من رضي الله عز وجل فالاستعاذة بالله منه من أقوى السلاح على دفع كيده.[194]

193 البخاري، حديث: 6114، ومسلم، حديث: 2609.

194 شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد.



91 (عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا رسولَ الله، مَنْ أكرمُ النَّاس؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ». فقالوا: لَيْسَ عن هَذَا نسألُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ – ابنُ نَبِيِّ اللهِ ابنِ نَبِيِّ اللهِ ابنِ خليلِ اللهِ» قالوا: لَيْسَ عن هَذَا نسألُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلونِي؟ خِيَارُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسْلامِ إِذَا فقُهُوا.)[195]

سئل ﷺ أي الناس أكرم أخبر بأكمل الكرم وأعمه فقال أتقاهم لله وقد ذكرنا أن أصل الكرم كثرة الخير ومن كان متقيا كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العلا في الآخرة فلما قالوا ليس عن هذا نسألك قال يوسف الذي جمع خيرات الآخرة والدنيا وشرفهما فلما قالوا ليس عن هذا نسأل فهم عنهم أن مرادهم قبائل العرب قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية اذا اسلموا وفقهوا فهم خيار الناس قال القاضي وقد تضمن الحديث في الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه ومجمله ومبانه إنما هو الدين من التقوى والنبوة والإعراق فيها والإسلام مع الفقه ومعنى معادن العرب أصولها وفقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها أي صاروا فقهاء عالمين بالأحكام الشرعية الفقهية والله أعلم.[196]

195 البخاري، حديث: 2378، ومسلم، حديث: 2526.

196 شرح النووي على مسلم.



92 (عَنْ عُثْمَــانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَــال:خَــيرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُــرْآن وَعَلَّمَهُ.)[197]

خيركم من تعلم القرآن وعلمه الخطاب للأمة عامة فخير الناس من جمع بين هذين الوصفين من تعلم القرآن وعلم القرآن تعلمه من غيره وعلمه غيره والتعلم والتعليم يشمل التعلم اللفظي والمعنوي فمن حفظ القرآن يعني صــــار يعلم النــــاس التلاوة ويحفظهم إياه فهو داخل في التعليم وكذلك من تعلم القرآن على هذا الوجه فهـــو داخل في التعلم وبه نعرف فضيلة الحلق الموجودة الآن في كثير من البلاد ولله الحمد في المساجد حيث يتعلم الصبيان فيها كلام الله عز وجل فمن ساهم فيها بشيء فله أجر ومن أدخل أولاده فيها فله أجر ومن تبرع وعلم فيها فله أجر كلهم داخلـــون في قوله خيركم من تعلم القرآن وعلمه والنوع الثاني تعليم المعنى يعني تعليم التفسير أن الإنسان يجلس إلى الناس يعلمهم تفسير كلام الله عز وجل كيف يفسر القـــرآن والقرآن كما نعلم متشابه تجد في بعض الأحيان آيات تتكرر بلفظها مثل يا أيهـــا النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومـــأواهم جهنم وبئس المصـــير هـــذه تكررت بلفظها في سورتين التوبة والتحريم وكذلك كثير من الآيات يتكرر فـــإذا علم الإنسان غيره كيف يفسر القرآن وأعطاه القواعد في ذلـــك فهـــذا من تعليم القرآن وليعلم أن القرآن الكريم ليس كغيره من الكتب من حيث التفسير يعني أنه لا يجوز للإنسان أن يفسر القرآن بهواه ويحمل الآيات على ما يريده هو كما يفعـــل

197 البخاري، حديث: 5027.



أهل الإلحاد بآيات الله عز وجل من أهل التعطيل وغيرهم يحملون الآية على غير ما أراد الله مثلا يقول في قوله تعالى **{وجاء ربك والملك صفا صفا}** يقول وجاء أمر ربك هذا حرام لا يجوز لأن الذي يفسر القرآن إنما يشهد على الله أنه أراد كـــــذا وهذه عظيمة وليست هينة لو كنت تفسر كلام عالم من العلماء لعد ذلك جناية إذا فسرته بما تريد أنت فكيف بكلام رب العالمين ولهذا جاء في الحديث من قـــــال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فالواجب أن الإنسان يتحرز من أن يقول معنى الآية كذا وكذا وهو لا يدري.[198]



198 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

أحوال الناس مع القرآن

93 (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ.)[199]

هذا الحديث في بيان أحوال الناس بالنسبة للقرآن أن النبي ﷺ ضرب أمثلة للمؤمن والمنافق المؤمن إما أن يكون قارئا للقرآن أو غير قارئ فإن كان قارئا لـه فمثله كمثل الأترجة يعني الثمرة ريحها طيب وطعمها طيب فهذا المؤمن الذي يقرأ القرآن لأن نفسه طيبة وقلب طيب وفيه خيره لغيره الجلسة معه خير وكما قال النبي ﷺ مثل الجليس الصالح كمثل حامل المسك إما أن يبيعه أو تجد منه رائحة طيبة فالمؤمن الذي يقرأ القرآن كله خير في ذاته وفي غيره فهو كالأترجة لها رائحة طيبة ذكية وطعمها طيب أما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فهو كمثل التمرة طعمها حلو ولكن ليس لها رائحة ذكية كرائحة الأترجة ونفى النبي ﷺ ريحها لأنه ليس بريح طيب وإن كان كل شيء له رائحة لكن ليست رائحتها ذكية لكنها حلوة طيبة هذا المؤمن الذي لا يقرأ القرآن إذا فالمؤمن القارئ للقرآن أفضل بكثير من الذي لا يقرأ القرآن ومعنى لا يقرؤه يعني لا يعرفه و لم يتعلمه ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة لها رائحة طيبة لكن طعمها مر لأن المنافق في ذاته خبيث لا خير فيه

199 البخاري، حديث: 5427، ومسلم، حديث: 797.



والمنافق هو الذي يظهر أنه مسلم ولكن قلبه كافر والعياذ بالله هو الذي قال الله فيه ومن الناس يقول آمنا بالله وباليوم الأخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فـــزادهم الله مرضـــا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون يوجد منافقون يقرءون القرآن قراءة طيبة مرتلة مجودة لكنهم منافقون والعياذ بالله كما قال النـــبي ﷺ في الخوارج يقـــرءون القـــرآن لا يتجاوز حناجرهم هؤلاء والعياذ بالله ضرب لهم النبي ﷺ مثلا بالريحانة ريحها طيب وذلك لما معهم من القرآن وطعمها مر وذلك لخبث طويتهم وفساد نيتهم والمنـــافق الذي لا يقرأ القرآن ضرب النبي ﷺ له مثلا بالحنظلة طعمها مر وليســـت لها ريح هذا المنافق الذي لا يقرأ القرآن لا خير فيه طعمه مر وليس معه قرآن ينتفع الناس به هذه أقسام الناس بالنسبة لكتاب الله عز وجل فاحرص أخي المسلم على أن تكون من المؤمنين الذين يقرءون القرآن ويتلونه حق تلاوته حتى تكون كمثـــل الأترجـــة ريحها طيب وطعمها حلو والله الموفق.[200]

200 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

أجر الماهر بالقرآن

94 – (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ.)[201]

قوله ﷺ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران وفي الرواية الأخرى وهو يشتد عليه له أجران السفرة جميع سافر ككاتب وكتبة والسافر الرسول والسفرة الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله وقيل السفرة الكتبة والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه قال القاضي يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى قال ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته قال القاضي وغيره من العلماء وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به بل الماهر أفضل وأكثر أجرا لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه والله أعلم.[202]

201 البخاري، حديث: 4937، ومسلم، حديث: 798.

202 شرح النووي على مسلم.

95 – (قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ.)[203]

يعني معناه أن هذا القرآن يأخذه أناس يتلونه ويقرءونه فمنهم من يرفعه الله به في الدنيا والآخرة ومنهم من يضعهم الله به في الدنيا والآخرة فمن هذا ومن هذا من عمل بهذا القرآن تصديقا بأخباره وتنفيذا لأوامره واجتنابا لنواهيه واهتداء بهديه وتخلقا بما جاء به من أخلاق وكلها أخلاق فاضلة فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا والآخرة وذلك لأن هذا القرآن هو أصل العلم ومنبع العلم وكل العلم وقد قال الله تعالى يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات أما في الآخرة فيرفع الله به أقواما في جنات النعيم ويقال للقارئ اقرأ ورتل واصعد وله إلى منتهى قراءته صعود في الجنة إن شاء الله وأما الذين يضعهم الله به فقوم يقرءونه ويحسنون قراءته لكنهم يستكبرون عنه والعياذ بالله لا يصدقون بأخباره ولا يعملون بأحكامه يستكبرون عنه عملا ويجحدونه خبرا إذا جاءهم شيء من القرآن كقصص الأنبياء السابقين أو غيرهم أو عن اليوم الآخر أو ما أشبه ذلك صاروا والعياذ بالله يشككون في ذلك ولا يؤمنون بل **{في قلوبهم مرض}** مرتابون والعياذ بالله وربما يصل بهم الحال إلى الجحد مع أنهم يقرءون القرآن وفي الأحكام يستكبرون لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون بنهيه هؤلاء والعياذ بالله يضعهم الله في الدنيا والآخرة ولابد أن يكون أمرهم خسارا حتى لو فرض أن الدنيا دانت لهم وتزخرفت فإن

203 مسلم، حديث: 817.



مآلهم إلى الخسار والعياذ بالله ولكن ربما يمهل لهم ويملي لهم وتنفتح عليهم الدنيا ولكنهم كلما انفتح عليهم شيء من زهرة الدنيا فإنهم لا يزدادون به إلا خسارا والعياذ بالله **{وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ}** يعني ربما يمهل الله سبحانه وتعالى للكافر الجاحد المستكبر وتزدان له الدنيا لكنه لا يزيده ذلك إلا خسارا وإنما في الآخرة والعياذ بالله فالحذر الحذر أن تكون من القسم الثاني يضعهم الله بهذا القرآن كن من القسم الأول الذين يرفعهم الله بالقرآن جعلنا الله وإياكم منهم.[204]



204 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

فضل سورتا البقرة وآل عمران

96 – (عن أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ.)[205]

قالوا سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما وفيه جواز قول سورة آل عمران وسورة النساء وسورة المائدة وشبهها ولا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال إنما يقال السورة التي يذكر فيها آل عمران والصواب الأول وبه قال الجمهور لأن المعنى معلوم قوله صلى الله عليه وسلم فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين قوله صلى الله عليه وسلم أو كأنهما فرقان من طير صواف وفي الرواية الأخرى كأنهما حزقان من طير صاف الفرقان بكسر الفاء وإسكان الراء والحزقان بكسر الحاء المهملة وإسكان الزاي ومعناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فرق وحزق وحزيقة أي جماعة.[206]

205 مسلم، حديث: 804.

206 شرح النووي على مسلم.

لا حسد إلا في اثنتين

97 – (عَنْ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ.)[207]

لا حسد إلا في اثنتين الحسد قال العلماء إن معناه هنا هو الغبطة يعني لا شيء فيه غبطة إلا هاتين الاثنتين وذلك لأن الناس يغبط بعضهم بعضا في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة فتجد مثلا بعض الناس يغبط هذا الرجل حين أعطاه الله المال والأولاد والأهل والقصور والسيارات وما أشبه ذلك يقول هذا هو الحظ هذا هو المغتبط وما أشبه ذلك يحسد يغبط بعض الناس على ما آتاه الله من الصحة وسلامة البنيان وغير ذلك يغبطه على أنه له شرف وجاه في قومه إن قال سمع وإن عمل اتبع فيقول هذا هو الحظ لكن النبي ﷺ بين أن الذي يغبط من حصل على هذين الاثنين الأولى آتاه الله تعالى الحكمة القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار آتاه الله القرآن حفظه وفهمه وعمل به آناء الليل والنهار يقوم به يفكر ماذا قال الله عز وجل عن الصلاة فيقول أقيموا الصلاة فيقيمها ماذا قال عن الزكاة فيقول **{وءاتوا الزكاة}** فيؤتيها ماذا قال عن الوالدين قال الله تعالى **{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا}** وماذا قال عن صلة الأرحام **{والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل}** فيصل رحمه ماذا قال عن الجيران قال تعالى **{والجار ذي القربى والجار الجنب}** إلى آخره فتجده يقوم بالقرآن آناء الليل والنهار هذه هي الغبطة وهي الغنيمة وهي

207 البخاري، حديث: 7529، ومسلم، حديث: 815.

الحظ والثاني رجل آتاه الله المال يعني صار غنيا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار يعني في سبيل الله فيما يرضي الله عز وجل أي شيء يرضي الله ينفق ماله فيه بناء المساجد الصدقات على الفقراء إعانة المجاهدين إعانة الملهوفين وغير ذلك المهم لا يجد شيئا يقرب إلى الله إلا بذل ماله فيه ليلا ونهارا ليس ممسكا ولا مبذرا فيغلو ويزيد بل ينفقه لله وبالله وفي الله منفقا لله مستعينا به متمشيا على شرعه هذا هو الذي يغبط أما الذي عنده حظ من الدنيا يتمتع به كما تتمتع البهيمة بالعلف ثم يذهب عنها هذا ليس محسودا ولا يحسد على ذلك لأنه تالف أو متلوف عنه لكن الذي ينفق ماله في سبيل الله فهذا هو الذي يغبط وفي هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يقوم بالقرآن آناء الليل والنهار دائما يجعل أعماله كلها مبنية على القرآن يتمشى بهدي القرآن وأنه ينبغي لمن آتاه الله المال أن يؤدي حقه ويقوم بواجبه وينفقه حيث كان إنفاقه خيرا والله الموفق.[208]

208 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

من دعاء إلى هدى

98 – (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا.)[209]

من دعا إلى هدى ومن دعا إلى ضلالة هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقا إليه وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك قوله ﷺ (فعمل بها بعده) معناه إن سنها سواء كان العمل في حياته أو بعد موته والله اعلم.[210]

209 مسلم، حديث: 2674.

210 شرح النووي على مسلم.

الإيمان يأرز إلى المدينة

99 – (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا ".)[211]

وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ وجاء في الحديث تفسير الغرباء وهم النزاع من القبائل قال الهروي أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى قال القاضي وقوله ﷺ: **(وهو يأرز إلى المدينة)** معناه أن الإيمان أولا وآخرا بهذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة، إما مهاجرا مستوطنا، وإما متشوقا إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلما منه ومتقربا، ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك، ولأخذ سيرة العدل منهم والاقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به، يرحل إليها ثم بعد ذلك في كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبي ﷺ والتبرك بمشاهده وآثاره وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن، هذا كلام القاضي. والله أعلم بالصواب.[212]

211 البخاري، حديث: 1876، ومسلم، حديث: 146.

212 شرح النووي على مسلم.

100 – (عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَال رَسُولُ اللَّه ﷺ: (بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ.)[213]

كم أوذي الصحابة بسبب إسلامهم، وكم كان المتمسك بدينه كالقابض على الجمر، وكم كان الذين كفروا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروا بهم يتغامزون، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين. بدأ الإسلام هكذا غريبا بين المشركين، وهو اليوم يعود غريبا بين أهله المسلمين، أصبح المحافظ على إسلامه في نظر المجتمع متأخرا جامدا، وأصبحت شعائر الإسلام غريبة في مجتمع المسلمين، وأصبح المنكر معروفا، والمعروف منكرا، ولم يعد بينهم أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، بل أمر بالمنكر ونهي عن المعروف في بلاد دينهم الرسمي الإسلام، وأشخاص يسمون بأحمد ومحمد، فأي غربة للإسلام أشد من هذه الغربة؟ وأي عزلة لتعاليمه فوق هذه العزلة؟ فطوبى لمن تمسك بدينه في هذا الوسط المنحرف، وحسن مآب لمن عدوا بسبب إسلامهم من الغرباء، وهنيئا لهم تشوفهم إلى الحرمين الشريفين اللذين تهفو إليهما نفوس المؤمنين، وتهوى إليهما أفئدة العابدين، نعم ففيهما ترتوي النفوس الظامئة، وترتاح الأفئدة القلقة المضطربة، وتسر القلوب الحزينة، وترتع في رياضها – رياض الجنة – الأرواح المقيدة المكبوتة، فاللهم يسرها لنا، ويسرنا لها، واجعلنا من الغرباء.[214]

213 مسلم، حديث: 232.

214 فتح المنعم على صحيح مسلم للدكتور موسى شاهين لاشين.

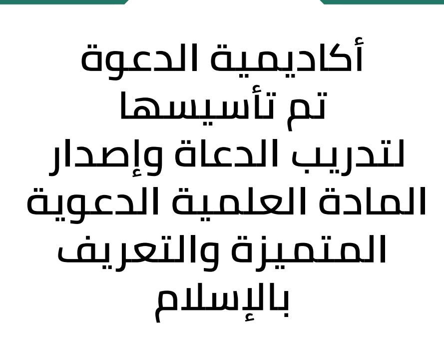


توصيات للداعية فيما يخص المطالعة والتوسع في كتب السنة

- دراسة الأربعين النووية وبعض شروحه
- رياض الصالحين مع دراسة بعض شروحه وينصح بشرح الشيخ ابن عثيمين
- دراسة صحيح البخاري وصحيح مسلم
- دراسة باقي كتب السنة كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرها



فهرس


أكاديمية الدعوة
تم تأسيسها
لتدريب الدعاة وإصدار
المادة العلمية الدعوية
المتميزة والتعريف
بالإسلام


DAWAH
ACADEMY